

بسم الله الرحمن الرحيم



كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية وآدابها

شعر التهاني في العصر العباسي
حتى نهاية القرن الرابع الهجري

The Poetry of Congratulations in the Abbasid period till the End of the Fourth Century

إعداد:

أحمد محمد خالد الخزاملة

إشراف الدكتور:

محمد الرحمن المويدي

الفصل الدراسي الثاني من العام الجامعي ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م

الإهداء

إلى والدي الحبيب، ووالدتي الغالية

وأختي الأعماء

وإلى زوجتي العزيزة (أم مظفر)، وابنني الغالي مظفر

أمد الله في أعمارهم

الشكر والتقدير

الحمد والشكر لله تعالى على توفيقه لي في إتمام هذا العمل، وأتقدم بجزيل الشكر والإمتنان إلى الدكتور عبد الرحمن الهويدي، الذي شرفني بإشرافه على هذه الدراسة، ومتابعتها بكل أمانة وإخلاص، فجهده موصول في كل مرحلة من مراحل إعداد هذا العمل، فجزاه الله خير الجزاء، وأمده بالعمر، ومتعته بموفقور الصحة والعافية .

كما أتقدم بالشكر إلى كل من ساعدني في إنجاز هذا العمل، وأخص والديّ العزيزين اللذين كان دعاؤهما خير معين في مسيرة بحثي، وكذلك إخوتي، وعائلتي، أم مظفر، وابني مظفر، اللذين صبرا وتحملا معي في مسيرتي العلمية، مهينين لي أفضل الظروف في سبيل إنجاز هذا العمل.

الباحث

المحتويات

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| الإهداء | أ |
| شكر وتقدير | ب |
| فهرس المحتويات | د |
| الملخص بالعربية | هـ |
| التمهيد | ٤-١ |
| الفصل الأول: المنحى السياسي في شعر التهاني | ٤٠-٥ |
| أ- التهاني بالبطولة والقيادة الحربية | |
| ١- التهنة بفتح البلدان | ١٢-٦ |
| ٢- التهنة بالانتصارات الحربية على الأعداء | ١٦-١٣ |
| ب- التهاني بالمناصب والولايات | |
| ١- التهنة بالخلافة | ٢٦-١٧ |
| ٢- التهنة بولاية العهد | ٣٢-٢٧ |
| ٣- التهنة بالوزارة | ٣٥-٣٢ |
| ٤- التهنة بالولايات | ٤٠-٣٥ |
| الفصل الثاني: المنحى الديني في شعر التهاني | ٧٥-٤١ |
| أ- التهاني بالأعياد الإسلامية | |
| ١- التهنة بقدوم شهر رمضان | ٤٤-٤٢ |
| ٢- التهنة بأداء فريضة الحج | ٤٨-٤٤ |
| ٣- التهنة بعيد الفطر | ٥٧-٤٩ |
| ٤- التهنة بعيد الأضحى | ٦٢-٥٧ |
| ب- التهاني بالأعياد غير الإسلامية | |
| أ- التهنة بالأعياد الفارسية | |

| | |
|--------------|--|
| ٧٠-٦٣ | ١- عيد النيروز |
| ٧٤-٧٠ | ٢- عيد المهرجان |
| | ب- التهنئة بالأعياد المسيحية..... |
| ٧٥-٧٤ | ١- عيد الشعانين |
| ١١٠-٧٦ | الفصل الثالث: المنحى الاجتماعي في شعر التهاني |
| | أ- التهاني بالمناسبات الاجتماعية..... |
| ٨٢-٧٧ | ١- التهنئة بالزواج |
| ٩١-٨٢ | ٢- التهنئة بالإنجاب |
| ٩٩-٩٢ | ٣- التهنئة بالشفاء من المرض |
| ١٠٣-٩٩ | ٤- التهنئة بالقدوم من السفر |
| ١٠٨-١٠٣..... | ٥- التهنئة بالمسكن..... |
| ١١٠-١٠٨..... | ٦- التهنئة بالنجاة من الحوادث..... |
| ١١١ | الخاتمة..... |
| ١١٩-١١٢..... | المصادر والمراجع..... |
| ١٢٠..... | الملخص باللغة الإنجليزية..... |

ملخص الدراسة

تتناول هذه الدراسة شعر التهاني في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري دراسة موضوعية، حيث إن التهاني لم تكن من الأغراض التي كانت العرب تصوغ منها شعراً، حتى نضجت وازدهرت في العصر العباسي، وأصبحت باباً من أبواب التعبير عن النفس الإنسانية، لتتناول بين سطورها معاني: الصداقة، والمحبة، والإخوة .

وقد جاءت هذه الدراسة في تمهيد وثلاثة فصول، أما التمهيد، فتناول مراحل تطور شعر التهاني، ودلالاته السياسية والاجتماعية والدينية، بالإضافة إلى مفهوم التهاني وأقسامه، أما الفصل الأول فتناول الحديث عن الاتجاه السياسي في شعر التهاني، كالتعاني بالبطولات والانتصارات الحربية على الأعداء، والمناصب الإدارية (التهنئة بالخلافة، وولاية العهد) .

أما الفصل الثاني، فتناول الاتجاه الديني في شعر التهاني، الذي اشتمل على التهاني بالأعياد الإسلامية، (التهنئة بقدم شهر رمضان، وأداء فريضة الحج وعيد الفطر، وعيد الأضحى)، وكذلك الأعياد غير الإسلامية، (الأعياد الفارسية، والأعياد المسيحية).

أما الفصل الثالث، فتناول الاتجاه الاجتماعي في شعر التهاني، (التهنئة بالزواج، والإنجاب، والشفاء من المرض، والقوم من السفر، والمسكن، والنجاة من الحوادث).

وقد توصلت في هذه الدراسة إلى عدد من النتائج، منها:

- ازدهر شعر التهاني في العصر العباسي ازدهاراً كبيراً، بفضل عوامل سياسية ودينية واجتماعية .
- حمل شعر التهاني دلالات عميقة تتيح قراءة المجتمع العباسي من جهات مختلفة: سياسية ودينية واجتماعية .
- تميل الأشعار التي قيلت في التهاني إلى الرقة والليونة والسهولة واليسر في التعبير .
- إقتران كثير من التهاني بالهدايا، لما لها من أثر في إحداث المودة، وإفشاء روح المحبة بين الناس.

التمهيد:

الحمد لله مُبدي الأُمم ومُعِيدها، ومُهْنئ النعم ومفِيدها، ومُعْطي الرغائب ومُجْزِلها،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وبعد :

فإن شعر التهاني يمثل ظاهرة جديدة في الشعر العربي، ويعد لونا من ألوان الشعر
الاجتماعي ذي الصلات والروابط التي تسهم في تماسك المجتمع، وباباً من أبواب التعبير عن
النفس الإنسانية في حال فرحتها ومسرتها، فهو يتناول بين سطوره معاني: الصداقة، والمحبة،
والإخوة، وهو من أجل ذلك يقرب أن يكون من أرق الإخوانيات لفظاً وألفها عاطفة.

تعد ظاهرة التهنة ظاهرة اجتماعية قديمة، عرفتها الأمم الأخرى وكانت لونا من التكافل
الاجتماعي المهم آنذاك، وكان للتهاني في الإسلام شأن فقد جاء في كتاب الله ما يماثل هذا
المعنى ويضاهيه، ويضمن البشرى بما أتىح للسعيد من مأل الخير كقوله: ((يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ
برحمةٍ منه ورضوانٍ وجناتٍ لهم فيها نعيمٌ مقيمٌ))^(١).

ومع ازدهار المجتمع ونموه وتحضره، تعمق هذا اللون في الشعر العربي أكثر فأكثر حتى
نضجت هذه الظاهرة (شعر التهاني) في العصر العباسي، فأصبح هذا الغرض غرضاً رئيساً من
الشعر الإخواني الذي يعبر عن عواطف الإنسان ودفقاته الشعورية ومشاعره الإنسانية .

وقد ارتبطت التهاني آنذاك بشقي الأدب (الشعر والنثر) ارتباطاً وثيقاً، ليس فقط في كونه
يسجل انطباعات أصحابه الوجدانية، وخلجاتهم النفسية، وإنما لأنه ينطوي أيضاً على دلالات
اجتماعية، وسياسية، ودينية كثيرة، تظهر في مناسبات المجتمع على تنوعها بتنوع أجناس
المجتمع العباسي بشريا، وعرقيا، وسياسيا، واجتماعيا، ودينيا .

ويمكن القول إن شعر التهاني من الأشعار التي مالت إلى الرقة، واللين، والسهولة، واليسر
في التعبير، كما أنها حفلت بالتصوير والابتكار في المعاني والصور، وقد ساعدت طبيعة الحياة
العباسية وما فيها من غنى سياسي، وديني، واجتماعي، على انتشار هذا اللون من الشعر
وازدهاره في هذه المدة .

ونظراً لكثرة التهاني وانتشارها في المجتمع العباسي، اعتنت المصادر العربية القديمة
بشعر التهاني عناية واضحة، وقد يكون دليل ذلك أن مؤلفي هذه المصادر ولا سيما كتب الأدب
كانوا يفردون أبواباً، أو فصولاً، أو مباحث، أو محاور، تتحدث عن موضوع التهاني وما قيل

() سورة التوبة، الآية (٢١).

فيه من شعر ونثر، ونطالع هذا الاتجاه واضحا في عيون الأخبار لابن قتيبة، والعقد الفريد لابن عبد ربه، والبصائر والذخائر للتوحيدي، وبهجة المجالس لابن عبد البر القرطبي، ومحاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني، وربيع الأبرار للزمخشري، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، وغيرها من مصادر الأدب العربي، وهذا يعني أن المادة الأولية للموضوع توجد في هذا النوع من المصادر، إضافة إلى دواوين الشعر العربي نفسها التي تزودنا بمادة وفيرة قيلت في التهاني على اختلاف محاورها الدقيقة .

تقوم الدراسة على تحديد مفهوم شعر التهاني، للتعرف على حدود هذه الظاهرة المختلفة، وتناول المضامين من خلال المادة الشعرية التي عبرت عن هذا الموضوع، لذلك تلجأ الدراسة إلى المنهج الاستقرائي في قراءة النصوص وتتبعها في مصادرها، ومن ثم تناول هذه النصوص الشعرية وإبراز ملامحها وقضاياها، معتمداً في ذلك على المنهج التحليلي .

تقوم هذه الدراسة على ثلاثة فصول، خصص الأول منها للحديث عن الاتجاه السياسي في شعر التهاني، وقد ضم التهاني بالبطولات والقيادة الحربية، الذي شمل التهئة بفتح البلدان، والانتصارات الحربية على الأعداء، كما ضم التهاني بالمناصب والولايات التي كان منها، التهئة بالخلافة، بولاية العهد، الوزارة، والولايات .

وأما الفصل الثاني، فقد تناول الاتجاه الديني في شعر التهاني، وقد ضم التهاني بالأعياد الإسلامية التي شملت، التهئة بقدم شهر رمضان، وبأداء فريضة الحج، وعيد الفطر، وعيد الأضحى، كما شمل هذا الفصل، التهاني بالأعياد غير الإسلامية التي ضمت التهئة بالأعياد الفارسية، والأعياد المسيحية .

أما الفصل الثالث، فقد تناول الاتجاه الاجتماعي في شعر التهاني، الذي ضم التهئة بالزواج والمصاهرة، والإنجاب، والشفاء من المرض، والقدوم من السفر، والمسكن، والنجاة من الحوادث.

عُرِّفت التهئة في لسان العرب في باب (هَنَأَ) : خلاف التعزية، يقال: هَنَأَهُ بِالْأَمْرِ وَالْوَالِيَةِ. وقال الأصمعي: يقال في الدعاء للرجل هُنَّتْ وَلَا تُنْكُهُ، أي أصبت خيراً ولا أصابك الضر^(١).

كما ورد معنى التهئة في المعجم الوسيط بمعنى تقديم المسرة والنصرة وغيره. فيقال: (هَنَأَ) فلاناً-هَنَأَ: أعطاه طعاماً أو نحوه وسره، وهَنَأَ فلاناً بِالْأَمْرِ تهئة: خاطبه راجياً أن يكون هذا الأمر مبعث سرور له. و(استهَنَأَ) فلاناً: استعطاه واستنصره^(٢) .

() ابن منظور، لسان العرب، الطبعة الأولى، مجلد ١، دار صادر، بيروت، لبنان، مادة (هَنَأَ).

() إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، دار المعارف، مادة (هَنَأَ).

وقد جاء في كتاب الله ما يماثل هذا المعنى ويضاهيه، ويتضمن البُشرى بما أُتيح للسعيد من مآل الخير، كقوله سبحانه حكاية عن أهل الجنة: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) (١). وقوله (وقال لهم خزنتها سلامٌ عليكم طيبٌم فادخلوها خالدين) (٢).

وقد وردت بعض الأحاديث الشريفة في التهنئة، فقد روى الأمام مسلم رحمه الله في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، عن أبي بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟)). قال: قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟). قلت: (الله لا إله إلا هو الحي القيوم)، قال: فضرب على صدري وقال: والله ليهنك العلم أبا المنذر)) (٣). فهي تهنئة نمت عما يسره ويرضيه، وكثيرا ما يكون في هذه التهاني دعاء بالبركة، حيث ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال مهنئا بالنكاح: (بارك الله لك) (٤).

وللتهنئة مرادفات أخرى قد تشترك معها في بعض المعنى، مثل التبريك، وهو أن يقول شخص لآخر: بارك الله عليك، أو بارك الله لك. ومعنى هذا الدعاء للإنسان بالبركة، والبركة هي النماء والزيادة (٥)، والتبريك خير من عند الله تعالى، ولذلك يقال لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة أن فيه بركة، ومن معنى التبريك المتعلق بالتهنئة ما جاء في حديث البخاري رحمه الله تعالى في زواج النبي صلى الله عليه وسلم بزینب بنت جحش، فإنه لما تزوج بها دعا الناس إلى الخبز واللحم، فأكلوا ولم يبق أحد إلا دعي، حتى قال أنس: (فقلت: يا رسول الله ما أجد أحداً أدعوه، فانطلق النبي صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة فقال: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله، فقالت: وعليك السلام ورحمة الله، كيف وجدت اهلك؟ بارك الله لك، فطرق حجر نسائه كلهن يقول لهن كما قال لعائشة، ويقلن له كما قالت عائشة) (٦).

لم تكن التهاني من الأقسام التي كانت العرب تصوغ منها شعراً كما يذكر ذلك أبو هلال العسكري، فيقول: إن التهاني لم تكن من الأقسام التي كانت العرب تصوغ فيها شعراً، وإنما كانت أقسام الشعر في الجاهلية خمسة: المديح، والهجاء، والوصف، والتشبيب، والمراثي، حتى زاد النابغة فيها قسماً سادساً، وهو الاعتذار، ولا أعرف للعرب شيئاً ينسب إلى التهاني، ومهما جاء عنهم من شكلها شيء فهو عند العلماء معدود في جملة المديح، مثل قول أبي الصلت

() سورة فاطر، الآية (٣٤).

() سورة الزمر، الآية (٧٣).

() مسلم، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ج ١، ص (٥٥٦).

() المصدر السابق، ج ٢، ص (١٠٤٢).

() إبراهيم أنيس، المعجم الوسيط، مادة برك.

() البخاري، صحيح البخاري، رقمه وبوبه: محمد نزار إبراهيم نزار، د.ط، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ص (١٠٣٣).

الثَّقفي^(١)، يذكر سيف بن ذي يزن^(٢) وإتيانه بالفرس، ومحاربتة بهم الحبشة حتى أزالهم عن أرضه، وهو قوله بعد ذكر الفرس:

فاشْرَبْ هنيئاً عليك التاجُ مُرْتَقِياً في رأسِ عُمدانَ دارِ منكِ مِحْلالاً
تلكِ المكارمُ لاقعبانَ من لبن شَيَّبَتِ بماءِ فَعاداتِ بعدُ أبوالا^(٣)

والشعر كما معروف بأهميته منذ القدم، فقد كانت القبيلة من العرب إذا نبغ منها شاعر أتت القبائل فهنأتها، ووضعت الأطعمة، واجتمعت النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم، وكانوا لا يهنتون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج.^(٤)

تقسم التهاني إلى قسمين كما يقول النويري: إن التهاني تنقسم إلى قسمين، أو تتحاز في جهتين: خصوص، وعموم، فالخصوص: هو ما يتعلق بالرجل من منصب يليه، ونعمة تواليه، وولد رزقه، وشفاء من مرض ألقه وأرقه، وقدم من سفر، وزواج قضى به الأرب والوטר. والعموم: هو ما يتعلق بالجمهور، ويتساوى فيه الملك والمملوك، والأمر والمأمور، من أنصاب غيث عم الرُّبا والوهاد، وجريان نيل شمل برية البلاد وأمن العباد، وهزيمة عدو زاد في عدوانه وتمادى في طغيانه، وفتوح حصن أمن أهله بتشديد أركانه وإتقان بنيانه^(٥).

فالتهنئة تكون على أحوال، إما أن تكون ما يسر به الإنسان مما يطرأ عليه من الأمور التي فيها تجدد نعمة، أو دفع مصيبة، كالتهنئة بالزواج، وبالمولود الجديد، أو بالخلافة، أو ما شابه ذلك من المناسبات التي لا ارتباط لها بزمن معين، وإما أن تكون التهنئة في أزمان معينة، كالأعياد، والأعوام والأيام.

() أبو الصلت، هو ابن أبي ربيعة بن عبد عوف بن ثقيف، وهو شاعر جاهلي، والد الشاعر أمية بن ابي الصلت، انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: محمد مفيد قميحة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، ص(٢٨١).

() سيف بن ذي يزن: من ملوك العرب اليمانيين، حكم نحو (٢٥ سنة)، قتل في صنعاء سنة (٥٠ ق.هـ)، الزركلي، الأعلام، الطبعة السادسة، ج ٣، دار العلم للملايين، بيروت، ص(١٤٩).

() أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، الطبعة الأولى، دار الأضواء، بيروت، ص(١٠٨).

() ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وأدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، ج ١، دار الجيل، بيروت، ص(٦٥).

() النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: يحيى الشامي، الطبعة الأولى، ج ٤-٥، ص(١٢٣).

الفصل الأول

الاتجاه السياسي في شعر التهاني

التهنئة بالبطولة والقيادة الحربية

شغلت البطولة الناس منذ قديم الزمان، فتغنوا بها، ومجدوا الأبطال، وعظموا أفعالهم، وقام الشعراء بتصوير البطولات، وتخليد نماذج التضحية، حتى أصبح شعرهم صورة لصيحات المجد، وصدى للمآثر الحميدة، وديواناً حافلاً لما قدمه كل بطل، وهو يحاول أن يقدم العمل الفذ. ولقد جاءت التهنئة في أشكال مختلفة، وطرائق متعددة، منها:

أولاً: التهنئة بفتح البلدان

اتسعت رقعة الدولة الإسلامية اتساعاً كبيراً، وازدادت مساحتها، فقد كان عصر الراشدين والعصر الأموي مليئين بالفتوحات، في حين شهد العصر العباسي ظروفاً داخلية أثرت على جو السياسية فيه^(١)، ولكن بالرغم من الظروف التي عصفت بهذا العصر، إلا أنه بقي له فتوحاته وحروبه التي سطر فيها الأبطال أعمالاً بقيت خالدة، ورافقت هذه الفتوحات أشعار كثيرة، تغنى الشعراء فيها بالبطولة والانتصار، وقدموا التهاني بتلك الفتوحات، وامتدحوا القادة الشجعان، الذين كان لهم في ميادين القتال جولات واسعة، وتحدثوا عن صنائعهم في تلك الحروب، وإقدامهم في تلك المعارك، إلى جانب ما شاهدوه من المعاقل، والحصون، وحديثهم عما نزل بأعدائهم من الهزائم، ومن هذه التهنئات، ما قدّمه أشجع السلمي للرشيد، عندما فتح الرشيد هرقلة^(٢)، وعاد إلى الرقة، فدخلها آخر يوم في شهر رمضان، وعيّد، ثم جلس للشعراء، فأنشده أشجع السلمي:

| | |
|--------------------------------|------------------------------|
| لا زلت تنشر أعياداً وتطويها | تمضي بهالك أيامٌ وثنيها |
| مُستقبلاً بهجة الدنيا ولذتها | أيامها لك نظمٌ في لياليها |
| العيدُ والعيدُ والأيامُ بينهما | موصولةٌ بك لا تقنى وثنيها |
| وليهنك الفتحُ والأيامُ مقبلةٌ | إليك والنصرُ معقودٌ نواصيها |
| أمست هرقلةً ملكوماً جوانبها | وناصرُ الدين بالتدبير يرميها |
| ملكتهما وقتلت الناكثين بها | بنصر من يملك الدنيا وما فيها |

(١) انظر: زكي المحاسني، شعر الحرب في أدب العرب، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ص (١٥٠).

(٢) هرقلة: مدينة ببلاد الروم، كان الرشيد غزاها بنفسه، ثم اقتحمها عنوة بعد حصار وحرب شديد، ورامها بالنار والنفط حتى غلب أهلها، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأولى، ج٥، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.

ما روعي الدين والدنيا على قدمٍ بمثل هارون راعيهِ وراعيها^(١) يقدم الشاعر التهنة للخليفة بهذا الفتح الكبير، حيث إنه ينشر الأعياد بهذه الانتصارات والفتوح التي يحققها، وما هذا الفتح إلا عيد يستقبل به الخليفة بهجة الدنيا ولدتها، ولا يكتفي الشاعر بتقديم التهنة للخليفة بهذا الفتح فقط، وإنما يشير إلى الأيام القادمة التي سيكون بها فتوحات جديدة، وفي هذا إشارة إلى استعداد الخليفة لمزيد من التضحيات، فهو الراعي للدين والدنيا يمدّه الله بنصره. وتثير هذه التهنة في سمع الرشيد وخاطره بما تحمله من معاني في نصرة الإسلام وأهله، ما جعله يجزل صلته بحيث أصدر أمراً بالأل ينشده يومذاك أحد بعد أشجع^(٢).

وهذا هارون الرشيد يتوغل في بلاد الروم، فينهزمون أمامه، ويتابع الرشيد مسيرته في عدد كبير من الجيش، حتى بلغ خليج البحر على القسطنطينية، وصاحب الروم يومئذ أغسطة امرأة أليوان، وذلك أن ابنها كان صغيراً، وقد هلك أبوه وهو في حجرها، وجرت بينها وبين هارون الرشيد الرسل والسفراء في طلب الصلح والموادعة، وإعطائه الفدية، فقبل ذلك منها هارون الرشيد^(٣)، وهنا يتقدم مروان بن أبي حفصة، في مدح هارون، مبيناً حال الأعداء، حيث حاصرهم هارون مسنداً إليهم الرماح، حتى كساهم الذل، ليس البشر وحدهم، بل والحجارة أيضاً، وأجبروا على الخضوع، وقدموا الجزية، وهم صاغرون، وأطلق سراح جميع الأسرى المسلمين، الذين لولاه لأصبحت سجون الأعداء قبوراً لهم، فيقول:

أطقت بفسطنطينية الروم مسنداً إليها القنا حتى اكتسى الذل سورها
 وما رمتها حتى أتتك ملوكها بجزيتهما والحرب تغلى قدورها
 وفكت بك الأسرى التي شيدت لها محابس ما فيها حميم يزورها
 على حين أعياء المسلمين فكأها وقالوا: سجون المشركين قبورها^(٤)

() أشجع السلمي، الديوان، خليل بنيان الحسون، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص (٢٦٨-٢٦٩).

() ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، مجلد ٤، دار صادر، بيروت، لبنان، ص (١٤١).
 () الطبري، تاريخ الطبري، الطبعة الثالثة، مجلد ٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص (٥٧٢).

() مروان بن أبي حفصة، الديوان، شرح أشرف أحمد عدرة، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص (٦٦).

وفي موقع آخر، يبين مروان بن أبي حفصة فضل هارون الرشيد في سد الثغور، وتحصين المسلمين، حيث تمكّن الخليفة من حماية حدود دولته، فشدّ بذلك أزر المسلمين وعزيمتهم، لتبقى رايته خفاقة دائماً، والنصر حليفه بهذا الجيش الذي تنفرّق أمامه جيوش الأعداء، وتبقى حصون العباسيين منيعة تحمي حدودها الرماح والسيوف، لذلك يُهنئ الشاعر الخليفة بهذا المُلك الذي غدت أسرته ومنابره مزهوة ومختالة به، فيقول^(١):

وَسَدَّتْ بِهَا رُونَ الثُّغُورُ فَأَحْكِمَتْ بِهِ مِنْ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ الْمَرَائِرُ^(٢)
 وَمَا انْفَكَّ مَعْفُوداً بِنَصْرٍ لَوَاؤُهُ لَهُ عَسْكَرٌ عَنْهُ تَشْتَطِي الْعَسَاكِرُ
 حُصُونُ بَنِي الْعَبَّاسِ فِي كُلِّ مَازِقٍ صُدُورُ الْعَوَالِي وَالسُّيُوفُ الْبَوَائِرُ
 لِيَهْنِكُمْ الْمُلُوكُ الَّذِي أَصْبَحَتْ بِكُمْ أَسْرَرَّتْهُ مُخْتَالَةً وَالْمَنَابِرُ

أكثر الشعراء من تهانيهم للقادة والأبطال الذين كان لهم دور في البطولات، والفتوحات، وامتداحهم بما يملكونه من عزم وقوة، حيث إن التهاني كانت تُعدُّ شكلاً من أشكال المديح، كما يقول أبو هلال العسكري: ولا أعرف للعرب شيئاً ينسب إلى التهاني، ومهما جاء عنهم من شكلها شيء، فهو عند العلماء معدود في جملة المديح^(٣)، ومن هؤلاء القادة الشجعان الذين استمروا في مواجهة الأعداء، الأفشين^(٤) حيث سيره المعتصم لمواجهة الروم، فيمدحه الحسين بن الضحاك^(٥) ببطولاته التي خاضها ضد الروم، باعتباره سيفاً قدره الله سبحانه في كف المعتصم لمقابلة أعدائه، حيث ترك الأعداء في المناطق التي دخلها جنثاً هامدة، وكأنها أصنام (إرم)، حيث تدل هذه العبارة على تأثر الشاعر بالقرآن الكريم، لأنها إشارة لقوله تعالى: ألم تر كيف فعل ربك بعاد، إرم ذات العماد^(٦) ليصبح حال هؤلاء الأعداء كحال قوم عاد فيما لقوه من عذاب، ويستمر الشاعر في وصف الأفشين

() المصدر السابق نفسه، ص (٦٢-٦٣).

() المرائر، جمع (مَرِيرَةٌ)، وهي العزائم، المعجم الوسيط.

() أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ص (١٠٨).

() الأفشين، محمد بن أبي الساج، قائد جيش المعتصم (ت ٢٨٨هـ)، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، مجلد ٢، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص (٢٥٠).

() الحسين بن الضحاك بن يسار، أبو علي البصري، شاعر معروف بالخلع، شاعر ماجن، مطبوع، حسن الافتتان في ضروب الشعر وأنواعه، ولد سنة (١٦٢هـ)، انظر: البغدادي، تاريخ بغداد، تحقيق: عبد القادر عطا، ج ٨، الكتب العلمية، ص (٥٤).

() سورة الفجر، آية (٦، ٧).

الذي استمرّ في مواجهة الروم، فيجعل الندم حليفهم، فقد قُتل قائدهم، وفضّ جموعهم، وفرّوا هاربين بعد أن قُتل منهم الكثير، أمّا من نجا منهم فقد كان مثخناً بالجراح، فيقول^(١):

إنما الأفشين سيفٌ سلّه قدرُ الله بكفّ المُعتصمِ
لم يدعُ بالبدن ساكنه غيرَ أمثالِ كأمثالِ إرمِ^(٢)
ثمَّ أهدي سألماً بابكّه رهبنَ حبلين نجياً للندمِ
وقرا توفيل طعنأ صادقاً فضَّ جمعيه جميعاً وهزَمِ
قتل الأكثر منهم ونجا من نجالحمأ على ظهر وضمِ^(٣)

ومن الشعراء الذين مجدوا البطولة، ومدحوا الأبطال، البحترى، فها هو يمدح يوسف بن محمد الثغري، الذي قاد الجيوش في عهد المتوكل لمواجهة البطارقة الأرمنيين، فيتحدث الشاعر عن الممدوح باعتباره المرجو لإعلاء الدين ونصرته، قاصداً وجه الله تعالى، وسائراً بالدين إلى المجد، وهنا يقدم الشاعر صورة للرجال الذين يسندون هذا الدين، كأمثال الممدوح، صاحب البأس الشديد، والسماحة المرجوة، الذي لا يرى إلا السيف إن وقعت المعركة، لتعلو أصوات أسلحته فوق كل الأصوات، فلا يكون حينها إلا ذلّ للشرك، والإطاحة به، فيقول:

هو المالكُ المرجوُ للدينِ والعُلا فليله تقواه وللمجدِ سائره
له البأسُ يُخشى والسماحة تُرتجى فلا الغيثُ ثانيه ولا اللئيمُ عائره
إذا وقعت بالقرب منه ملامة تتي طرفه نحو الحسام يُشاوره
إذا خرس الأبطال في حمس الوغى علت فوق أصوات الحديد زماجره
ولا عزّ للإشراك من بعد ما التقت على السّحج من عليا طرون عساكره^(٤)

ولما لفتح من فضل في امتداد الرقعة الإسلامية، ورفع للواء الإيمان، فقد حرص القادة على مطاردة أعدائهم في كل موقع يحطون به، واستبسألهم في دحض الكفر وأصحاب الفتن، وفي هذا يقول

() الحسين بن الضحّاك، الديوان، تحقيق: جليل عطية، الطبعة الأولى، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٥م، ص (١٥٧).
() بذُّ: بتشديد الدال، كورة بين أنريجان وأرّان، بها كان مخرج بابك الخرمي في أيام المعتصم، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد الفريد الجندي، الطبعة الأولى، ج/١.
() وضَم. كل ما يوضع عليه اللحم من خشب أو غيره، مادة (وَضَم).
() البحترى، الديوان، شرح محمد التونجي، الطبعة الأولى، ج١، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص (٥١٤-٥١٥).

البحثري مهناً موفقاً^(١) بقمعه لثورة الزنج^(٢)، مبيناً دوره في نصرة الدين، ومطاردته للأعداء في كل أرض يحلّون بها، لتظلّها رماحه وخيوله، تاركاً صاحب الزنج قتيلاً، فيقول:

فإنّ الذي بينَ المدائنِ قاطعاً إلى الصّينِ عَرَضاً سَئِيئَةً ومواهِبَةً
فلا أرضَ إلاّ ما أفاءت رماحُهُ ولا غنمَ إلاّ ما أفادتَ مقانِيئُهُ
وما كان يدري صاحبُ الزنّجِ أنّه إذا أبطَرثُهُ غَقلُهُ العيشِ صاحِبُهُ
وكان صريعَ الحَينِ جِيسٌ مُلَعَنٌ متى شاءَ يوماً قالَ ما شاءَ عابِئُهُ^(٣)

ويمضي الشاعر مشيداً بهذا الانتصار، ويعدّه تاراً للدين، فيقول:

أخذتَ بوثرَ الدّينِ إذ ظُفرتَ به يداكَ فلم يُقَلتِ عَدُوٌّ تُطالِيئُهُ^(٤)
والقصائد التي تتحدث عن الموفق كثيرة، حيث كان له دور في متابعة الزنج ومنازلتهم في عدّة وقائع، دون أن يثنيه شيء عن الحرب حتى أنه قد جرح جرحاً بليغاً في صدره أثناء معاركه الأخيرة^(٥)، ولم يمنعه ذلك من متابعة حربه، حتى كتّب له النصر، ولذلك يقول ابن المعتز في تهنئته بهذا النصر واصفاً إياه بناصر الإسلام، مبيناً أثر هذا النصر في نفوس المسلمين، فقد شفى ما بداخلهم من غيظ للكفر، وأدميت به الجراح، فيقول:

يا ناصرَ الإسلامِ عِشْ واسلمْ على ريبِ الزمنِ
شققَ الجموعَ بسيفِهِ وشفى حزازاتِ الإحـنِ
دامى الجراحَ كأثـلُهُ وردّ تفتحَ في غـصنِ^(٦)

() طلحة (الموفق بالله) بن جعفر (المتوكل على الله)، ابن المعتصم العباسي، من رجالات السياسة والإدارة والحزم، لم يل الخلافة اسماً ولكنه تولّاها فعلاً، ت (٢٧٨هـ)، انظر: الأعلام، ج ٣، ص (٢٢٩).

() ثورة الزنج، هم طائفة من عبيد إفريقية، أثارت القلق والرعب في حاضرة الخلافة العباسية، وانضمت إليهم جماعات من العبيد الغاريين من القرى والمدن، وقادهم رجل فارسي يسمى علي بن محمد، ادّعى أنه من ولد علي زين العابدين بن الحسين بن علي، وادّعى أن العناية الإلهية أرسلته لإنقاذهم مما كانوا يعانونه من بؤس، كما ادّعى العلم بالغيب، وانتحل النبوة، ودامت الحرب بين جيوش العباسيين من عام (٢٥٥هـ-٢٧٠هـ)، إلى أن قضى الموفق وقواده عليهم، انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج ٣، ص (٢١٦).

() البحثري، الديوان، ج ١، ص (١٠٤-١٠٥).

() المصدر السابق نفسه، ص (١٠٧).

() الطبري، تاريخ الطبري، مجلد ٥، ص (٥٦١).

() ابن المعتز، الديوان، يوسف شكري فرحات، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، ص (٦٧٧).

ويكثر الشعراء من تصوير الفرح بالانتصارات على الأعداء، ومنها انتصار المعتصم على بابك الخرمي، الذي أمر المعتصم بقطع يديه ورجليه، فيصور الشاعر إبراهيم بن المهدي^(١) هذا الفرح في تهنئته للخليفة، مكثرًا من الحمد بهذا النصر الذي مدّه الله للمعتصم ليكون فتحاً ليس له مثيل، فيقول:

يا أمينَ الله، إن الحمدَ لله كثيرًا
هكذا النصرُ فلا زل لك الله نصيرًا
وعلى الأعداءِ أعطيت من الله ظهيرا
وهنيئاً هيأَ الله لك الفتحَ الخطيرا
فهو فتحٌ لم يرَ لنا سُلَّه فتحاً نظيراً^(٢)

ومن الفتوحات الإسلامية فتح عمورية حيث أكثر من وصف هذا الفتح الذي يُظهر أثر الصراع بين العرب والروم، ومن هؤلاء الشعراء أبو تمام الذي افتتح قصيدته بذكر السيف، فيقول:

السيفُ أصدقُ أنباءٍ من الكتبِ في حدِّه الحدُّ بين الجِدِّ واللَّعبِ^(٣)
وفيما يتعلق بهذا الفتح الكبير، الذي يتجلى فيه النفس الحماسي في التعبير عن الفرح بهذا الفتح، فيقول:

فتحُ الفتوحِ تعالى أن يحيطَ به
فتحُ تفتحِ أبوابِ السماءِ له
أبقيتَ جدَّ بني الإسلامِ في صعدِ
وبرزةِ الوجهِ قد أعيتَ رياضُها
نظمٌ من الشعرِ أو نثرٌ من الخطبِ
وتبرزُ الأرضُ في أثوابِها الفُشْبِ
والمشركينَ ودارَ الشركِ في صَبَبِ
كسرى وصدتْ صدوداً عن أبي كربِ
ولا ترقى إليها همّةُ الثُّوبِ
يكرُّ فما افترعتها كفو حادثةِ

(١) إبراهيم بن محمد المهدي بن عبد الله المنصور، العباسي الهاشمي، أبو إسحاق، أخو هارون الرشيد، ولد ونشأ في بغداد، وولاه الرشيد إمرة دمشق ثم عزله عنها بعد سنتين، كان فصيحاً، جيد الشعر، سخي الكف، حاذقاً بصنعة الغناء، ت (٢٢٤هـ/٨٣٩م)، الأصفهاني، الأغاني، مجلد/١٠، ص (١٠١).

(٢) المسعودي، مروج الذهب، تحقيق قاسم الشماخي الرفاعي، الطبعة الأولى، ج/٤، ص (٥٧).

(٣) أبو تمام، الديوان، محي الدين صبحي، الطبعة الأولى، مجلد/١، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ص (١٩٦).

من عهد اسكندر أو قبل ذلك قد شابت نواصي الليالي وهي لم تشب^(١) يعظم الشاعر من شأن هذا الفتح، حتى لقد أسماه فتح الفتوح ذاك الفتح الذي يعجز عن وصفه الشعر والنثر، فقد تفتحت له أبواب السماء، وأصبحت به الأرض نضرة مشرقة، فتح أعلى من شأن الإسلام، ودلّ به أهل الشرك، كما يشير الشاعر إلى ناحية مهمة في هذا الفتح، وذلك بقاء عمورية عسيرة منذ القدم، فهي مدينة لم تطأها قدم كسرى، واستعصت على ذوي الحروب، فلم يفتحها أحد، ولا مشيت فيها الحوادث والصروف، وهي قديمة في عهد الإسكندر المقدوني إن لم تكن قبل عهده، وعلى الرغم من شيخوختها، فقد ظلت صافية الأديم، عليها بهاء الشباب ونضارته.

أمّا الحسين بن الضحّاك فإنه يمدح قائد هذا الفتح، الفتح الذي وُصف بأنه قد أدل به رقاب المشركين، وشفى بها قلوب المؤمنين^(٢)، ليظهر الشاعر صفات ممدوحه (المعتصم) التي تتناسب والمقام الذي قيلت فيه هذه الأبيات، حيث يحدرّ الشاعر الأعداء من فعل ممدوحه، فهو صاحب دربة على تحطيم الأعناق، دائم الاستعداد للحرب، سريع الانقضاض على أعدائه، حتى يتركهم في أسوأ حال وأكره منظر بين قتيل، وجريح، وأسير، ولم يكتف حتى أدل ملوك الروم، وهزم صلبانهم، فيقول^(٣):

| | |
|---|---|
| إِني أَحَدَرَكُم بِوَادِرَ ضَـيْغِمِ | دَرَبٍ بِحَطْمِ مَوَائِلِ الأَعْنَاقِ |
| مَتَاهِبِ لا يَسْتَقِرُّ جَنَانُهُ | زَجَلُ الرَعُودِ وَلا مَعُ الإِبْرَاقِ |
| لَمْ يُبِقْ مِنْ مَتَعَرِّمِينَ تَوَائِبُوا | بِالْشَّامِ غَيْرَ جَمَاجِمِ أَفْلاقِ ^(٤) |
| مَنْ بَيْنَ مُنْجَدِلِ تَمَجُّ عَرُوقِهِ | عَلَقَ الأَخْذَاعِ أَوْ أُسِيرِ وَثاقِ ^(٥) |
| ثُمَّ اسْتَكَانَتْ لِلْحِصَارِ مَلُوكُهُمْ | دُلا وَنَاطِ حُلُوقَهُمْ يَخْناقِ |
| هَرَبَتْ وَأَسْلَمَتْ الصَّليبَ عَشِيَّةَ | لَمْ يَبِقْ غَيْرُ حُشاشَةِ الأَرْمَاقِ |

() المصدر السابق، ص(١٩٦).

() أحمد زكي صفوت، جمهرة رسائل العرب، ج/٤، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، د.ت، ص (١١).

() الحسين بن الضحّاك، الديوان ، ص (١٤٠-١٤١).

() المتعرمون: أصحاب الشراسة والحدة، مادة (عَرِمَ)، المعجم الوسيط.

() مُنْجَدِل: قتيل، مادة (جدل)، المعجم الوسيط.

مما سبق يتبين لنا أن الشعراء أعجبوا بالانتصارات، فقاموا بتهنئة الخلفاء والقادة الشجعان، فمجدوا بطولاتهم، وعظموا أفعالهم، وأظهروا أثر هذه الفتوحات في نفوس المسلمين، حتى أصبحت كأنها أعياد تُرَّين أيامهم، وبيان دور الخلفاء والقادة في نصرته الإسلام، والتأثر له، وذلك بتصويرهم سيوفاً من سيوف الله تُسلّ على أعدائه.

ثانياً: التهاني بالانتصارات الحربية على الأعداء

تعد صور الانتصارات من الصور التي استهوت الشعراء، وتركت في نفوسهم الأثر الواضح، حيث صور الشعراء انتصارات القادة والأبطال الذين خاضوا المعارك، وسجلوا الانتصارات، مبيينين في أغلب قصائدهم تمجيد القوة وآلاتها، وكما أن الأمر لم يقتصر على الإشادة بالانتصار بل تجاوز ذلك إلى موضع الصراع في إطاره الإسلامي الشامل، باعتباره صراعاً بين الإسلام وأعدائه، لذلك دأب الشعراء على ربط انتصارات المسلمين بعقيدتهم، كما ركز الشعراء في تهنئاتهم بالانتصارات على المقابلة بين حال المسلمين وأعدائهم، ليرزوا قوة المسلمين، وتضخيم انتصاراتهم، في الوقت الذي يصورون به هزائم الأعداء، والاستخفاف بهم وبقاداتهم.

أعقبت هذه الانتصارات أشعار تشيد بهذه البطولات، وتهنئ القادة والأبطال وتتغنى بأفعالهم، وانتصاراتهم، فما هو ابن المعتز يصور ما قدمه الموفق في محاربة الزنج، والقضاء على صاحبها، حيث إنه أكثر من تهنئته بهذا الظفر^(١)، مبيناً شجاعته وحزمه، حيث تبدو الروح الحماسية واضحة في هذه الأبيات، فالرمح تتصافح، والسيوف ترتوي من شدة الطعن، وينتقل إلى ذكر صفات ممدوحه، صاحب قلب شجاع، سريع الانقضاض على أعدائه، فيقول^(٢):

ترى فوق منثيه الفرند، كأتما تنقس فيه القين، وهو ثقيل^(٣)
فأعلمته كيف التصافح بالقنا وكيف تُروى البيض وهي محول
سريع إلى الأعداء، أمّا جنائهُ فماض، وأما وجههُ فجميل^(٤)

() شوقي ضيف، العصر العباسي الثاني، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ص (٣٣١).

() ابن المعتز، الديوان، يوسف شكري فرحات، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص (٥٦٣).

() الفرند: السيف، المعجم الوسيط.

() جنان: القلب، المعجم الوسيط.

الدولة على المستق^(١)، حيث جعلها ذكرى كبيرة في مثل هذا اليوم ومثل هذا الموقف^(٢)، ليقدّم
المتنبي معنى جديداً في تهنئته وذلك أنه لا يهنئ بمدوحه بالعيد وإنما يهنئ العيد به، فيقول:

هنئاً لك العيدُ الذي أنت عيدُهُ وعيدٌ لمن سَمَى وضحَى وعيِّدا
ولا زالت الأعيادُ لبسَكَ بعُدُهُ تُسلمُ مخروقاتاً وتُعطي مُجدِّداً
فذا اليومُ في الأيامِ مثلكَ في الورى كما كنتَ فيهم أوحداً كان أوحداً^(٣)

ويفصل المتنبي هذه الحرب في قصيدته التي يقول فيها^(٤):

رمى الدربَ بالجرْدِ الجيادِ إلى العدى وما علموا أن السَّهامَ خيولُ
شَوائلَ تشوَالِ العقاربِ بالقنَا لها مرح من تحته وصهيل^(٥)
وخيلٍ برأها الركنُ في كلِّ بلدةٍ إذا عرَّستَ فيها فليس تقيلاً
فما شعروا حتى رأوها مغيرةً قباحاً وأمَّا خلفها فجميلاً
سحائبُ تمطرنَ الحديدَ عليهمُ فكلَّ مكانٍ بالسَّيوفِ غسيلُ

يظهر الشاعر عناصر القوة في هذه المعركة من الخيل، والرماح، والسيوف، فقد رمى
سيف الدولة إلى الأعداء بخيل غدت أسرع إليهم من السهام، تعلوها رماح مرتفعة، بحيث إنها لا
تبين بمكان لتفاجئ الأعداء، فلا يشعروا إلا وهي تغير عليهم، وتصبح كالسحائب لما فيها من
بريق الأسلحة، وصياح الأبطال، الذين يمطرون بسيوفهم كل ما تقع عليه.

وفي موقع آخر، يقدم المتنبي تهنئة لأصحاب الثغور لأن سيف الدولة أصبح من حزبهم،
مبرزاً محاسن سيف الدولة تجاههم، فهو ينصرهم، ويأمنهم من تصارييف الدهر، ويجزل عطاياهم
إليهم، فالشاعر يربط هنا بين صفتين أساسيتين له، هما البطولة والكرم، ويقدم المتنبي التهنة
لأهل الثغر بحسن رأي سيف الدولة فيهم، وأنه أصبح من حزبهم، فيقول:

(١) الدُستق: لقب يعني الخادم الأعظم لجيش الشرق، يطلق على إمبراطور القسطنطينية.

(٢) الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، ص (٧٩٩).

(٣) المتنبي، الديوان، تحقيق عمر فاروق الطباع، ج٢، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، د.ت، ص
(٧٦٠).

(٤) المتنبي، الديوان، ج٢/ص (٧٣٨).

(٥) تشوَال، ارتقع، مادة (شَال).

هنيئاً لأهل الثغر رأيك فيهم وأتاك حزبُ الله صيرتَ لهم حزباً
 وأتاك رُعت الدهرَ فيها ورييهُ فإن شكَّ فليُحَدِّثْ بساحتها خطباً
 فيوماً بخيلٍ تُطردُ الرومَ عنهمُ ويوماً بجُودٍ تطردُ الفقرَ والجَدْباً^(١)
 وينوع المتنبّي في تهانيه، فهو لا يقدم التهنئة للمدوح وحسب، بل يتجاوز ذلك إلى تقديمها
 للقيم الجميلة، كالشجاعة، والمجد، والعلّي، فيقول:

هنيئاً لضربِ الهامِ والمجدِ والعلّي وراجيك والإسلامَ أتاك سالمُ^(٢)
 كما نجد المتنبّي في موقعٍ آخر، يحاول أن يذكر كافر الأَخشيدي بالقيم التي ينبغي أن تقدم على
 أساسها التهنئة، فهذا كافر الأَخشيدي يطلب من المتنبّي أن يذكر في شعره داراً بناها، إلا أن
 المتنبّي يقدم معاني جديدة للتهنئة، حيث يراها في بناء المعالي والمجد، لا ببناء من المدر
 والطين، والافتخار يجب أن يكون بالأيام التي مضت في ساحات الحروب، ومواجهة الأعداء،
 وما تتركته من طيب الثناء، فكان المتنبّي يحدد المعاني التي تقدّم منها التهاني، العلياء، الهجاء،
 والسيوف، والثناء، فيقول:

إتّما التهنئاتُ للأكفَاءِ ولمن يَدّني من البُعْداءِ
 أنتِ أعلى محلّة أن تُهَيَّئِ بمكانٍ في الأرض أو في السماءِ
 إتّما يفخرُ الكريمُ أبو المسدِّ بك بما يبتغي من العلياءِ
 وبأيّامه التي انسلختُ عنـ هـ وما داره سوى الهجاءِ
 وبما أثمرت صوارمهُ البي ضُ في جماجم الأعداءِ
 لا بما ثبتّتي الحواضرُ في الريـ ف وما يطبّي قلوبَ النساءِ^(٣)

كانت صور الانتصارات على الأعداء، تثير حفيظة الشعراء للتتوهج، وتقدّم أجمل صور
 التهاني بهذه المناسبة التي تظهر قدرة الرجال على خوض المعارك، وتسجيل الانتصارات، وقد
 كانت بعض هذه التهاني تحمل معاني جديدة، تختلف عن المعاني التقليدية للتهاني التي يقدمها
 الشعراء، كأن يهنئ الشاعر ممدوحه بالعيد، أو بالبطولة، إلا أن بعض هذه المعاني جاءت بشكل
 جديد، ليقدم الشاعر بتهنئة العيد بممدوحه، أو يهنئ البطولة به، أو يهنئ المجد والعلّي

() المتنبّي، الديوان ، ج٢، ص (٦٨٢).

() المتنبّي، الديوان ، ج٢، ص (٧٩٤).

() المتنبّي، الديوان ، ج٢، ص (٨٩٥ - ٨٩٦).

بالممدوح، محاولين الخروج عن الصور التقليدية، وابتكار معاني جديدة للتهاني تحمل دلالات جديدة، تُعلي من شأن الممدوح، وترفع من مكانته التي تراها أحياناً فوق التهئة.

التهئة بالمناصب والولايات

اهتم الناس منذ القدم بالمناصب والرتب العالية، وسعوا إليها سعياً مضنياً، وتسببت بكثير من النزاعات، حتى أنها وصلت إلى معارك ضاربة بين الممتازين، لما لهذه المناصب من أهمية في المجتمع العباسي، ولما لأصحابها من مزايا، فيقبل الشعراء على أصحاب هذه المناصب سواء كانوا خلفاء أو أولياء عهد، أو وزراء أو أصحاب ولايات بالتهاني، لما لهذه المناصب من أهمية ومكانة في المجتمع.

ومن التهاني بالمناصب الإدارية:

أولاً: التهئة بالخلافة:

كان للخليفة العباسي مطلق الحكم، والحكم لديهم ينتقل بالوراثة، ويطبعه الدين، حيث أكد العباسيون على الجانب الديني واعتمده أساساً لتقوية الخلافة^(١)، وكان العباسيون من بيت النبوة، فيعدون أنفسهم ورثة الخلافة الشرعيين، وبهذا مضوا يحيطون أنفسهم بهالة كبيرة من التقديس، وفي يد الخليفة كل الأمر، فهو يولي الولاة، والقضاة، والوزراء، والقواد، وأصحاب الشرطة، والمحاسبين، والذين يراقبون الأسواق، ويبيده عزلهم، حسب مشيئته وهواه^(٢).

أما تهئة الخلفاء الجدد في العصر العباسي، من أكثر الأغراض شيوعاً، لما يتمتع به الخليفة من مكانة اجتماعية، أو دينية، أو سياسية، فالخلافة من المناصب الهامة التي تؤثر في

() انظر: حسام الدين السامرائي، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، الطبعة الثانية، دار الفكر، ١٤٠٣هـ، ص (٩) .

() شوقي ضيف، العصر العباسي الأول، الطبعة الثانية عشرة، دار المعارف، القاهرة، ص (٢٢).

حياة المجتمع، فما أن يتقلد الخليفة مقاليد الحكم حتى يقبل الشعراء مهنتيين، مبرزين أثره في
تحصيل هذه المنزلة العظيمة، فهذا البحري يهنئ المتوكل^(١) بالخلافة، فيقول:

اليوم أطلع للخلافة سعدُها وأضياءَ فيها بذرها المتهلل
ليست جلالة جعفر فكأثها سحرَ تجلله الصباخ المقبل
جاءته طائعة ولم يهزز لها رُمحٌ ولم يشهرَ عليها مُصل
حتى أتته يؤدها استحقاقه ويسوقها حظُّ إليه مُقبل
عن بيعه إلا تكُن عقبيّة فهي التي رضي الكتاب المنزل
لم تُصرف عنها النفوس ولم تزع فيها القلوب ولم تزل الأرجل^(٢)

يبين الشاعر حال الخلافة الجديدة، التي من حسن طالعها أن يقودها المتوكل، لتتجلى
وتستتير به، ويبدو الممدوح في ابهى الصور - كأنه سحر لبسه الصبح - ويعلي الشاعر من
شأن ممدوحه، فيجعل الخلافة تأتي إليه طائعة، دون الحاجة إلى قوة الرماح والسيوف، فهو أهل
لها، يقودها بإستحقاق ومبايعة محكمة تمت برضى النفوس، وهدى القلوب، وثبات الأقدام.

وفي موقع آخر، يصور البحري المتوكل، أثناء سيره إلى دمشق، واصفاً مكانته، وقدره،
وعدله، منتقلا إلى تهنئة أهل الشام بقدم الخليفة إليهم، وبيان صورة هذا القدم، لنرى قدومه،
كقدوم المطر المحمل بالخيرات، وأخرى يغدو سحاباً يفيض عليهم بجوده، وتارة يطلع عليهم
كبروز البدر في كبد السماء، مشعاً ومضيئاً لهم طريقهم، فهذه صفات الخليفة التي جعلته أهلاً
للخلافة، فيقول:

وأنت أمين الله بالموضع الذي أبى الله أن يسموا إلى قدره قدر
تسنت الدنيا بعدك فاغتدت وأفاقها بيضاً وأكنافها خضر
هنيئاً لأهل الشام أنك سائر إليهم مسير القطر يتبعه القطر
تفيض كما فاض الغمام عليهم وتطلع فيهم مثلما طلع البدر

() المتوكل، هو جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن الرشيد، ولد سنة (٢٠٦هـ)، تسلم الخلافة في عام
(٢٣٢هـ)، ويكنى بأبي الفضل، قُتل سنة (٢٤٧هـ)، أبناؤه محمد المنتصر، محمد المعتز، إبراهيم المؤيد،
انظر: المسعودي، مروج الذهب، مجلد ٤، ص (٨١).

() البحري، الديوان، شرح محمد التونجي، الطبعة الأولى، ج ٢، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان،
١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص (٩١٧).

ولن يعدموا حُسناً إذا كُنْتَ فيهم وكان لهم جاران: جودك والبحر^(١)
ومن المعاني التي تحملها التهاني بالمناصب، تركيز الشعراء على الصبغة الإسلامية لدى
الخلفاء، وبيان الحق الشرعي في هذه الخلافة، وإظهار صفات الخليفة التي يتمتع بها، مثل
الحزم، والرأي، والحكمة، وهي مقومات قيادة الأمة، ومنها ما يقدمه سلم الخاسر في تهنئة
لموسى الهادي^(٢) بالخلافة، فيقول:

لَمَّا أَتَيْتَ خَيْرَ بَنِي هَاشِمٍ خَلْفَةً لِّلَّهِ بِجُرْجَانِ
شَمْرًا لِلْحَزْمِ سَرَابِيلُهُ بِرَأْيٍ لَا غَمْرَ وَلَا وَا
لَمْ يُدْخِلِ الشُّورَى عَلَى رَأْيِهِ وَالْحَزْمُ لَا يُمَضِّيهِ رَأْيَانِ^(٣)
عبر الشعراء في قصائدهم عن مشاعرهم وأحاسيسهم تجاه الخليفة، مصرحين بما يحملونه
إليه من المحبة والطاعة، حيث تصبح تهنئاتهم بهذه المناسبة وسيلة لإظهار المحبة للخليفة،
ومناسبة للبوح بهذه المشاعر التي تضطرم داخلهم، ليعلم بها الخليفة والناس كذلك، ومنها تهنئة
الحسين بن الضحَّاك للوائق^(٤) بالخلافة، فيقول:

أَكْبَاتِمُ وَجَدِي فَمَا يَنْكُتُمُ بِمَنْ لَوْ شَكُوتُ إِلَيْهِ رَجِمُ
وَإِنِّي عَلَى حُسْنِ ظَنِّي بِهِ لِأَحْزَنُ إِنْ بُحِثْتُ أَنْ يَحْتَشِمُ
وَلِي عِنْدَ لِحْظَتِهِ رَوْعَةٌ تُحَقِّقُ مَا ظَنَّاهُ الْمَثَمُ
وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ أَنِّي لَهُ مُحِبٌّ وَأَحْسَبُهُ قَدْ عَلِمُ
وَإِنِّي لَمَغْضُ عَلَى لَوْعَةٍ مِنَ الشُّوقِ فِي كَيْدِي تَضْطَرُّمُ^(٥)

() البحتري، الديوان، شرح محمد التونجي، ج ١، ص (٤٩٤).

() موسى الهادي، موسى بن محمد الهادي، يُكنى أبا جعفر، ببيع الخلافة وهو ابن أربع وعشرين سنة، دامت
خلافته سنة وثلاثة أشهر (ت ١٧٠هـ)، انظر المسعودي، مروج الذهب، ج ٣، ص ٣٠٥.

() سلم الخاسر، الديوان، نايف محمود معروف، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، ص (١١١).

() اللوائق، هو أبو جعفر هارون اللوائق بالله بن المعتصم، ولد سنة (١٨٦هـ)، كان واسع المعروف، متفقداً
للرعية، ت (٢٣٢هـ)، انظر: المسعودي، مروج الذهب، مجلد ٤، ص (٦٣).

() الضحَّاك، الديوان، ص (١٧٠).

في حين يرى الشاعر علي بن الجهم في خلافة الواثق، مبلغ سرور الرعية، فهو يجمع بين أمور الدين، ومتطلبات الدنيا، صاحب العدل، والعطايا، ينشر الإحسان بأفعاله بين الناس، مما جعل الناس يكثرن له بالدعاء وبطول العمر، فيقول:

قد فازَ ذو الدُّنيا وذو الدِّينِ بدولةٍ (الواثق هــارون)
أفاضَ من عدلٍ ومن نائلٍ ما أحسنَ الدُّنيا مع الدِّينِ
وعَمَّ بالإحسانِ من فعله فالنَّاسُ في خَفْضٍ وفي لينِ
ما أكثرَ الدَّاعيَ له بالبقا وأكثرَ النَّاليِ بـأمين^(١)

يبين الشعراء في تهنئاتهم بالخلافة الجديدة، استبشار الناس بها، حيث يُصور طريح بن إسماعيل التقي^(٢) مشاعر الناس واستبشارهم عندما أفضت الخلافة إلى المنصور، فعمّ الرضى والفرح بين الناس بالخليفة، الذي نال ما لم يستطع غيره أن يناله أو يقترب منه، حتى لو اجتهد، ليصل الشاعر في ختام تهنئته ببيان صدق قوله بهذه الخلافة، وبعده عن الكذب والافتراء، فيقول^(٣):

لَمَّا أتى النَّاسُ أنَ مُلكَهُمُ إليكَ قد صارَ أمرُهُ سَجْدُوا
واستبشروا بالرِّضَا تَباشُرَهُمُ بالخُلْدِ، لو قيلَ إنَّكُمْ خُدُّ
كنتُ أرى أن ما وجدتُ من الـ فرحةٍ لم يلقَ مثلهُ أحدُ
حتى رأيت العبادَ كلَّهُمُ قد وجدوا فيك مثل ما أجدُ
قد طلبَ النَّاسُ ما بلغتُ فما نالوا ولا قاربوا وقد جهدوا
قد صدَّقَ اللهُ مادِحِيكَ فما في قولهم فرِيئةٌ ولا فَنَدُ^(٤)

() علي بن الجهم، الديوان، تحقيق خليل مردم بك، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م، ص (١٨٨).

() طريح بن إسماعيل بن عبيد التقي، يُكنى بأبي الصلت، نشأ في دولة بني أمية واستفرغ شعره في الوليد بن يزيد، وإدراك دولة بني العباس، مات في أيام المهدي سنة (١٦٥هـ)، الأغاني، مجلد/ ٤ (ص ٣٠٤).

() طريح بن إسماعيل التقي، الديوان، جمع وتحقيق: بدر أحمد ضيف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٩٨٧م، ص (٨٣).

() فند: كذب، وباطل، مادة (فند).

ومن الصور الجميلة في التهئة بالخلافة، ما قدمه أبو العتاهية للمهدي حين صور الخلافة بعروس تهدي إليه في أجمل صورها، هذه الخلافة التي هي متاعمة مع شخصيته، فهو لا يصلح إلا للخلافة، والخلافة لا تصلح إلا له، بحيث لو تقدّم لها شخص غيره لزلزلت الأرض، ودكت معالمها، فيقول:

أَتَهْنَأُ الْخِلَافَةَ مُتَقَادَةً إِلَيْهِ، تَجَرَّرُ أَدْيَالَهَا
وَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لِي، وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا
وَلَوْ رَامَهَا أَحَدٌ غَيْرِي، لَزُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زَلْزَالَهَا^(١)

أما الخليفة بما له من صفات وما يسود عهده من رخاء، فيصورها الحسين بن الضحّاك في تهنة المنتصر^(٢) بالخلافة، لتتجدد الدنيا بهذا الملك الجديد، ويقابل الزمان المجدد بالترحيب بهذه الدولة الرشيدة، حيث أخذت لها بيعة شدّت من عرى الدين، وبهذا يقدم الشاعر معنى جديد للتهاني، وذلك أن الخلافة أصبحت تُهني المنتصر بإجماع الأمة عليه، فيقول:

تَجَدَّدَتِ الدُّنْيَا بِمُلْكِ مُحَمَّدٍ فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالزَّمَانِ الْمُجَدِّدِ
هِيَ الدُّوْلَةُ الْغُرَاءُ رَاحَتْ وَبَكَرَتْ مُشَهَّرَةً بِالرِّشْدِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
لِعَمْرِي لَقَدْ شَدَّتْ عُرَى الدِّينِ بِيَعَةً أَعَزَّتْ بِهَا الرَّحْمَنُ كُلَّ مَوْحَدِ
هَنَاتِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ خِلَافَةً جَمَعَتْ بِهَا أَهْوَاءَ أُمَّةٍ أَحْمَدِ^(٣)

وقد يذكر الشعراء في التهنة بهذه المناسبة، حال الخلافة القديمة، ومقارنتها بالخلافة الجديدة، فما هو إبراهيم الموصلّي يهنئ هارون الرشيد بالخلافة، ويشبه الخلافة بالشمس المريضة، فما أن تقلدها هارون حتى غدت بهية مشرقة، فيقول:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ الشَّمْسَ كَانَتْ مَرِيضَةً فَلَمَّا أَتَى هَارُونَ أَشْرَقَ نَوْرُهَا
تَلْبَسَتْ الدُّنْيَا جَمَالًا بِمُلْكِهِ فَهَارُونَ وَالْيَهَاءُ وَيَحْيَى وَزَيْرُهَا^(١)

() أبو العتاهية، الديوان، مجيد طراد، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ص (٣٣١).

() المنتصر: محمد المنتصر بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد، ولد (٢٢٢هـ)، كان يتصف بسعة الاحتمال، وكثرة المعروف، دامت خلافته ستة أشهر (٢٤٨هـ)، انظر المسعودي، مروج الذهب، مجلد/ ٤ ص (١٢١).

() الحسين بن الضحّاك، الديوان، ص (٦٤).

وقد يغدو الشعر وسيلة من وسائل الاعتراف، الذي يقدم بحق الخلافة والقيادة وبيان الحق في تولي الخلافة التي تنتقل انتقالاً شرعياً من الوالد إلى الولد، فيصف أعرابي دخل على الخليفة المهدي حقه في خلافتهم، وانتقال هذا الحق إلى أهل بيته، فيقول الأعرابي^(٢):

لكم إرثُ الخلافةِ من قريش تُزف إليكم أبداً عروسا
فتملكُ أربعينك مباركات وتورثها ولي العهد موسى
إلى هارون تُهدى بعد موسى تميميس ومالهان أن لا تميميسا^(٣)

وما يمكن الإشارة إليه في هذه المناسبة (الخلافة) الجمع بين التعزية والتهنئة، فالتهنئة التي يوجهها الشعراء إلى الخليفة حين تؤسّد إليه الأمور، فيقدمون إليه العزاء بفقد سلفه - وغالباً ما يكون والده أو أخاه - ويباركون عقب ذلك خلافته الجديدة، قارنين بهذا الأسلوب الأشياء وأضدادها^(٤).

وهذه الظاهرة (الجمع بين التعزية والتهنئة)، تعود إلى ما قبل العصر العباسي، فقد روى أن أول من عزّى نفسه وهنأها بالخلافة هو الوليد بن عبد الملك، فقد قام على المنبر بعد موت عبد الملك، فقال: (يا لها من مصيبةٍ، ما أفجعها وأعظمها، وأحدّها، وأوجعها وأعمّها، موت أمير المؤمنين، ويا لها من نعمةٍ، ما أعظم المنة من الله عليّ فيها، وأوجب الشكر له بها، خلافته التي تسر بلتها^(٥)).

ويُذكر في موضع آخر، أن أول من هنأ وعزّى في مقام واحد، عطاء بن أبي التقي، عزّى يزيد بن معاوية بأبيه، وهنأه بالخلافة، ففتح للناس باب الكلام^(٦)، فقام ابن همام

() الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق: سليم النعيمي، الطبعة الأولى، ج٤، دار الذخائر، قم، إيران، ص (٤٠٩). * (يحيى: يحيى بن خالد بن برمك، وزير هارون الرشيد).

() المصدر السابق، ص ٤٠٨.

() تميميس، تتسع، مادة (مأس).

() محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م، ص (٢١٤).

() ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مجلد/ ٤، ص (١٥٧).

() ابن قتيبة، عيون الأخبار، مجلد/ ٣، ص (٦٨)، وانظر الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج٤، ص (٤٠٩).

السلولي^(١) داعياً يزيد إلى الصبر في فراق أبيه، والشكر لمن اصطفاه في قيادة الناس كلهم، ليصبح الخلف لهم بعد أبيه، فيقول:

إصبرُ يزيدُ فقدَ فارقتَ ذا ثِقَةٍ واشكرُ حياءَ الَّذي بالمُلْكِ حاباكَا
أصبحتَ تملُكُ هذا الخلقَ كلَّهُمُ فأنتَ ترعاهُمُ واللهُ يرعاكَا
ما إن رُزي أحدٌ في الناسِ نعلمُهُ كما رزئتَ ولا عقبى كعقباكَا
وفي معاوية الباقي لنا خلفاً إذا نُعيبتَ ولا نسمعُ بمنعاكَا^(٢)

ويُذكر أن أول رسالة عباسية اختلطت فيها التهنة بالتعزية، هي رسالة أبي مسلم الخرساني إلى المنصور يعزيه بوفاة أخيه السقاح، ويهنئه بالخلافة، وكان ذلك في سنة (١٣٦هـ)^(٣).

فبعد أن فُتح للناس باب القبول في التعزية والتهنة معاً، جرى الشعراء على هذه السنن، فقال أبو نواس يعزى الفضل بن الربيع عن هارون الرشيد، ويهنئه بمحمد الأمين، فيبين الشاعر بدءاً خبر وفاة الخليفة، أكرم الأحياء سواء أيام وجوده، بما قدمه من خير، أو بما بقي من مآثره، ومناقبه بعد مماته، كما يشير إلى سنة الحياة وتصاريف الأيام في الموت والحياة، ومساوئ الأيام ومحاسنها، وإلى الحقيقة الكونية لعدم دفع القدر إن حان الأجل، فيقول أبو نواس^(٤):

تعزَّ أبا العبَّاس عن خيرها لك بأكرم حيٍّ كان أو هو كائن^(٥)
حوادثُ أيامٍ تدورُ صرُوفُها لهُنَّ مساوٍ مرةً ومحاسنُ
وفي الحيِّ بالميتِ الَّذي غيَّبَ الثرى فلا أنتَ مغبونٌ، ولا الموتُ غابنُ^(١)

() عبد الله بن همام السلولي: من بني مرة، شاعر إسلامي، عدّه ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام، ت نحو (١٠٠هـ) / (٧١٨م)، انظر ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: مفيد قميحة، الطبعة الثانية، ص (٣٩٥).

() (المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق، محمد أحمد الدالي، الطبعة الأولى، مجلد/ ٣، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ص (١٤٨٤)، وانظر الحصري، زهر الآداب، قاسم محمد وهب، القسم الأول، منشورات وزارة الثقافة، ص (١٣١).

() محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص (٢١٤).

() أبو نواس، الديوان، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، ص (٥٨١).

() أبو العباس، هو الفضل بن الربيع بن يونس، كان وزيراً للرشيد بعد نكبة البرامكة، كاتب وشاعر مقل، ت(٥٢٠٧)، انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، مجلد/ ٤، ص (٣٧).

ولا يغفل الشعر المكانة الدينية للخليفة، ودوره في نصرته الدين، فيقول ابن الزيات في تعزية المعتصم، وتهنئة الواثق بالخلافة، بعد أن وضع في مثواه الأخير، مستدركا مناقبه ودوره في إعانة الناس على مصائب الدنيا ومساندته ودفاعه ونصرته لهذا الدين، لتغدو الأمة كأنها قد تفرقت بعده، ولا سبيل إلى التحامها وتماسكها إلا بمثل هارون، ولعل هذه رسالة إلى الخليفة الجديد في أن يسير على خطى من سبقه، فيقول ابن الزيات:

أقولُ إذ غيَّبوك، واصنططقتْ عليك أيدي اللبْن والطَّين
 اذهب، فنعمَ الحفيظُ كنتَ على الذنـ يا ونعمَ الظَّهيرُ للدين
 لن يُجبرَ اللهُ أمّةً فقدتْ مثلكَ إلا بمثل هـارون^(٢)

ويفتح الحسين بن الضحّاك قصيدته في تهنئة الواثق بالخلافة وتعزيته عن موت المعتصم، متسائلاً عن فزع الإسلام بموت ناصره، فما أن لبثت نفسه أن تجيب عن واجب فزع هذا الدين عمّن كان نصيراً له، ولا يجد الشاعر السلوة عن الحزن بهذا الفقيد إلا بالواثق ذي الخصائل المحمودّة، من العطف والبر والكرم، فيقول:

لم يرع الإسلام موتَ نصيره بلى حقّ أن يرتاع من مات ناصرُه
 سيّسليكَ عما فاتَ دولةً مفضلٍ أوائله محمودةٌ وأواخرُه
 ثنى اللهُ عطفِيه وألفَ شخِصه على البرِّ مُدّ شُدّت عليه مآزرُه
 يصبُ ببذل المال حتى كأنما يرى بذله للمال نهياً يُبادرُه^(٣)

ومن القصائد الطوال التي تضمنت التعزية والتهنئة معاً، ما قاله أبو تمام في رثاء المعتصم بالله، ومدح الواثق وتهنئته بالخلافة، مقسماً قصيدته إلى غرضين أساسيين، فيبدأ برثاء المعتصم من خلال صورة حزينة، بدءاً بالدموع والجفون الفاقدة للنوم، والحديث عن قبر المعتصم، وبيان أثر فقدانه على الإسلام، الذي خسر أهم دعائمه، فيقول^(٤):

ما للدموع تروم كل مرام والجفنُ ثاكلُ هجعةً ومّام

() المغبون: المختفي، أو الضعيف، الناقص، مادة (غبن).

() ابن الزيات، الديوان، يحيى الجبوري، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، ٢٠٠٢م، ص (٢٧٣).

() الحسين بن الضحّاك، الديوان، ص (٦٠).

() أبو تمام، الديوان، مجلد/٢، ص (١٠٥).

يا حُفْرَةَ المَعْصُومِ تُرْبُكَ مُودَعٌ ماءَ الحِياةِ وَقَاتِلُ الإِعْدامِ
 فَتَقَّ المِدامِمْ أَنَّ لِحْدَكَ حَلَّةً سَكَنُ الزَّمَانِ وَمُؤَسِّكُ الأَيَّامِ
 هَدَمَتْ صُرُوفُ المَوتِ أَرْفَعَ حائِطِ ضُربَتْ دَعائِمُهُ عَلى الإِسلامِ
 دَخَلَتْ عَلى مَلِكِ المُلُوكِ رِواقَهُ وَتَشَرَّتْ لِمَقْـوَمِ القُـوَمِ (١)

ثم ينتقل إلى مدح الواثق، فيقدم التهنئة له بالخلافة، التي ورثها عن أهله، مبيناً أهميته، فهو خير من يقود الخلافة بعد المعتصم، حيث يقدم الناس عليه راضين، كأنهم يريدون أن يمشوا على وجناتهم، وأعينهم محدقة بالأرض إجلالاً ، لم له من المحبة والإعظام، فيقول:

أخَذَ الخِلافَةَ عَن أَسَنَّتِهِ التِّي مَنَعَتْ حِمَى الأَباءِ والأَعمامِ
 ما دامَ هارونُ الخَليفَةَ فالهُدى في غِبطَةٍ مَوْصُولَةٍ بِدوامِ
 إنَّنا رَحَلنا واثقَينَ بواثِقِ باللهِ شَمسِ ضُحىِ وِبدْرِ تَمامِ
 لو يَقْدِرُونَ مَشَوا عَلى وِجناتِهِمْ وِعيونِهِمْ فَضْلاً عَن الأَقْدامِ
 قُسمِتْ أَميرَ المَؤمِنينَ قَلوبُهُمْ بَينَ المَحبِّبَةِ فيكَ والإِعْظامِ (٢)

ويمزج الشاعر أشجع السلمي بين رثاء الرشيد وتهنئة الأمين بالخلافة الجديدة، مبيناً حقهم في متابعة نظام الحكم، وحالة حزن الناس على من فقد، وسرورهم بمن قدم، فيكون السلام على من ولى، والسلامة لمن قدم، فيقول:

إِمامٌ قامَ حينَ مَضى إِمامٌ نَظامٌ لَيسَ يَنقُطُ العُ النَظامُ
 بَكَى ذاكَ الأَنامُ أَسى وِوِجِداً وَسِرّاً بِذا الَّذي قامَ الأَنامُ
 مَضى الماضى وِكانَ لَنا قِواماً وهِذا بَعَدَ ذاكَ لَنا إِمامُ
 عَلى ذاكَ السَلامِ غِداةٌ وِلى وِدامَ لَذا السَلامَةُ والسَلامُ (٣)

يبدو أن كثيراً من المعاني التي قدمها الشعراء في التهنئة والتعزية، تكاد تكون متقاربة فيما بينها، من خلال ذكر مناقب من مات، وبيان صفات الخليفة الجديد، ومنها ما قدمه سلم الخاسر من تهنئة وتعزية، لما تولى الهادي الخلافة، حيث يهنئه بالخلافة التي فاز بها بعد وفاة أمير المؤمنين، الذي كان فقدانه فاجعة للبرية، لا سبيل لتخفيفها إلا بالهادي، فيقول:

() تشرنت، تهيأت. مادة (شزن) المعجم الوسيط.

() أبو تمام، الديوان، مجلد/٢، ص (١٠٥).

() أشجع السلمي، الديوان، ص (٢٥٨).

لقد فاز بالخلافة والهدى ومات أمير المؤمنين محمد
فمات الذي عم البرية فقداه وقام الذي يكفيك من يتفقد^(١)

في حين يقدم الشاعر مروان بن أبي حفصة في تهنئة الهادي بالخلافة، وتعزيتيه بأبيه المهدي، صورة لقبر المهدي الذي أصبحت المقابر تختال به في كل بلدة، كما يبين الشاعر دور الخليفة الجديد (الهادي) في تسلمه مكان أبيه، فيقول:

لقد أصبحت تختال في كل بلدة يقبر أمير المؤمنين المقابر
ولو لم تُسكن بابنه بعد موته لما برحت تبكي عليه المنابر^(٢)

ويعبر عبد الله بن الحسن الجعفري السمرقندي، عن التعزية والتهنئة معاً، حيث يهنئ العزيز بخلافة مصر، ويرثي أباه المعز مستخدماً (المنحة والمنحة)، فالمحنة في موت الخليفة، هذا الخطب الذي عم البلاد، سهولها وجبالها، والمنحة في تولي العزيز مقاليد الحكم، ومتابعة مسيرة أبيه، حيث يخلع عليه صفات أبيه الخلفية، فيقول^(٣):

قد أصبح الجوهر العلوي منتقلاً في خير من كان من خير الوري بدلاً
يا منحة كملت في منحة عظمت لولاك في الدهر ما نال امرء أملاً
صنع من الله في خطب أتيج لنا عم البلاد وعم لسهل والجبال
قام العزيز بما أفضى المعز به إليه مضطرباً بالعبء مُحتملاً
فقام أحفظ مُسترعى رعى فكفى من بعد خير إمام قوم الميلا
كالسيف مُصلتنا والبحر مُدققاً والبدر مُتلقا والغيث مُحتملاً^(٤)

أكثر الشعراء في العصر العباسي من تقديم التهاني للخلفاء، حيث ركزوا على الإشادة بهؤلاء الخلفاء، وإلى حق العباسيين في الخلافة، فهم من آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم، والحق في انتقالها انتقالاً شرعياً من الآباء إلى الأبناء، كما ركز الشعراء على صفات الخليفة الجديد التي جعلته أهلاً للمكانة التي تبوأها، وإبراز الدور الديني للخليفة في نصرة الإسلام وأهله، وقد بدأت التهاني في العصر العباسي بصور تقليدية، من الدعاء للخليفة، والتمتع بإقبال

() سلم الخاسر، الديوان، ص (٩٦).

() مروان بن أبي حفصة، الديوان، ص (٥٨-٥٩).

() النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: يحيى الشامي، الطبعة الأولى، ج/٤ - ٥، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص (١٣٤).

() مُنصَلتًا: خارج من غمده، مادة (صَلَت). المعجم الوسيط.

الأيام، وإدبارها، ودوام العافية، إلا أن هناك شعراء حاولوا الخروج عن هذه الصور، فقدموا معاني جديدة للتهاني، وذلك كما رأيناهم في جعل الخلافة تهنئ صاحبها، وتقدم إليه منقادة، أو تهنئ الخليفة بإجماع الأمة عليه، كما كان يشيع في هذا العصر ظاهرة التعزية والتهنئة معاً، التي ظهرت قبل العصر العباسي، ولكنها انتشرت ونضجت في هذا العصر، ويتم فيها ذكر مناقب من مات، ووصف محاسن من أتى، ولعل هذه الظاهرة تحتاج إلى معرفة بأصول الكلام الذي يلائم هذه المناسبة.

ثانياً: التهنئة بولاية العهد

لم يكن في العصر الراشدي ولاية عهد، وإنما كان يجتمع المسلمون على شخص صالح لها بعد موت الخليفة ويباعوه، أما في العصر الأموي والعباسي قد أصبحت ولاية العهد وراثية، فقد كان الخليفة العباسي يعين ولي عهده، ويأخذ له البيعة في حياته من وجوه الناس والأعيان وكبار القواد، وعن طريق الولاية في الأقاليم^(١).

يذكر أن أول من اختار الخليفة بعده من أبنائه الأقربين، معاوية بن أبي سفيان، حيث اختار ابنه يزيد وأخذ البيعة له، وصار الخلفاء من بعده يعهدون على هذا النمط، واستمرت ولاية العهد تنتقل بين أولاد الخلفاء وإخوانهم وأقربائهم الأقربين، أما في العهد العباسي فقد اتخذت شكلاً جديداً، وذلك أن يبيع الخليفة بولاية العهد إلى الأخوين معاً، حتى إذا استولى الأول منهما على الخلافة دعا الثاني إلى التخلص من حقه، مما أدى إلى وقوع الخلافات بين الأهل^(٢).

حافظ الخلفاء العباسيون على وجود ولي العهد، لما له من أهمية في الخلافة، ومنها ما قام به الرشيد في محاولة لقطع الطريق على كل من يحاول الوصول إلى السلطة من غير أهل بيت الخلافة، فقد عقد لابنه محمد بولاية عهد المسلمين وأخذ له بذلك بيعة القواد والجند، وله يومئذ خمس سنوات^(٣)، فيقول سلم الخاسر في هذه البيعة، مبيناً أنها بادرة خير لهذه الأمة، خاصة أنه ابن الخلائف أباً وجداً، بل ذهب إلى أن هذه البيعة لم تكن عملاً فردياً من خليفة المسلمين، إنما هو عمل باركه الإنس والجن وقدموا البيعة إلى مهدي الهدى، فيقول:

قد وقّقَ اللهُ الخليفةَ إذ بنى بيتَ الخليفةِ للهجان الأزهر
فهو الخليفةُ عن أبيه وجَدّه شهدا عليه بمنظّر وبمخبر
قد بايعَ الثقلانَ في مهدي الهدى لمحمّد بن زبيدة ابنه جعفر^(٤)

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد تم الإشهار بولاية العهد، لتصل إلى جميع المناطق والولايات، فقد قام الفضل بن يحيى والي خراسان، بجمع الناس، وفرّق فيهم أموالاً، وأعطى

() إبراهيم أيوب، التاريخ العباسي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، ١٩٨٩م، ص (٢١٣-٢١٤).

() يوسف العش، الخلافة العباسية، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص (٤٣-٤٤).

() الطبري، تاريخ الطبري، مجلد/ ٤، ص (٦٢٦).

() سلم الخاسر، الديوان، ص (١٠٢).

الجند أعطيات، ليظهر بيعة محمد بن الرشيد، ولكي يبایعه الناس، فقال في ذلك التمرى، مبيناً مباركة الناس لهذه الولاية، وتقديم البيعة المحكمة التي لا انفكاك لها، فيقول:

أَمَسْتُ بِمِرْوَةَ عَلَى التَّوْفِيقِ قَدْ صَفَّقْتُ عَلَى يَدِ الْفَضْلِ أَيْدِي الْعُجْمِ وَالْعَرَبِ
لِبَيْعَةِ لَوْلِيِّ الْعَهْدِ أَحْكَمَهَا بِالْأَصْحِ مِنْهُ وَبِالْإِشْفَاقِ وَالْحَدَبِ
قَدْ وَكَّدَ الْفَضْلُ عِقْدًا لَا انْتِفَاضَ لَهُ لِمُصْطَفَى عَنِ بَنِي الْعَبَّاسِ مُنْتَخَبِ^(١)

ويسهب الشعراء في هذه المناسبة، بمدح ولي العهد، وإظهار صفاته، ومنها ما قدمه الشاعر سلم الخاسر في بيعة هارون الرشيد لابنه ولاية العهد، فيقدم التهنة من خلال استجلاء صفات ولي العهد، الذي يخلع عليه مجموعة من الصفات التي تجعله فوق البشر، فهو صاحب العقل الراجح، الخلق الكريم، العالم، العادل، الصادق، فهو جدير بولاية العهد، فيقول:

بِأَيِّعَ هَارُونَ إِمَامُ الْهُدَى لِذِي الْحَجَى وَالْخُثْقِ الْفَاضِلِ
الْمُخْلِيفِ الْمُتَلَفِّفِ أَمْوَالَهُ وَالضَامِنِ الْأَتْقَالَ لِلْحَامِلِ
وَالْعَالِمِ النَّاقِدِ فِي عِلْمِهِ وَالْحَاكِمِ الْفَاضِلِ وَالْعَادِلِ
وَالرَّائِقِ الْفَاتِقِ حَيْفَ الْهُدَى وَالْقَائِلِ الصَّادِقِ وَالْفَاعِلِ
لخَيْرِ عَبَّاسٍ إِذَا حُصِّلُوا وَالْمُقْضِلِ الْمُجْدِي عَلَى الْعَائِلِ^(٢)

ومما يلاحظ في هذه المناسبة الإشارة إلى علاقة الأبوّة والبنوّة، حيث إن غالبية ولاية العهود هم أبناء للخلفاء، أو إخوانهم، وفي بيان قوة أواصر هذه الرابطة بينهما، ومنها ما قدمه الشاعر إبراهيم بن العباس الصولي في مدح بني المتوكل الثلاثة، المنتصر، والمعزز، والمؤيد، حيث يبين هذه العلاقة المتماسكة بين الأب وأبنائه، فالمتوكل غدا قمراً محاطاً بأقمار، حتى أنّ الشاعر لم يكتفِ بالوصف الخارجي لهذه العلاقة، بل يشير إلى مكانها، فالفعل (يكتنف) يشير أكثر ما يشير إلى ذلك التلاصق والترابط بين الأب وأبنائه، في كل حال من الأحوال، فيقول:

أَضَحَتْ عُرَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُنْوِطَةٌ بِالْأَصْرِ وَالْإِعْزَازِ وَالتَّأْيِيدِ
بِخَلِيفَةٍ مِنْ هَاشِمٍ وَثَلَاثَةٍ كَنَفُوا الْخِلَافَةَ عَنِ وِلَاةِ عُهُودِ

() النمرى، الديوان، جمع وتحقيق، الطيب العشاش، دار المعارف للطباعة، دمشق، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص (٧١).

() سلم الخاسر، الديوان، ص (١٠٧).

قمرٌ توافت حوله أقماره فحَقَّقَ نَ مَطْلَعَ سِـعْدِهِ بِسُـعُودِ
رَفَعَتْهُمُ الأَيَّامُ وارتفعوا به فَسَعَوْا بِأَكْرَمِ أُنْفُسِ وَجُدُودِ^(١)

وهي فكرة ألحَّ عليها الشعراء، فيقول إبراهيم بن العباس الصولي، في موقع آخر مشبهاً
الأب (المتوكل) وأبنائه بالكواكب مرة، وأخرى بالشمس المكحلة بين الشمس، فيقول:

ولمَّا بدا جَعْفَرُ فِي الخَمِي س بين المَطَّلِ وبين العرُوسِ
بدا لابساَ بهما حَلَّةَ أزيلت بها طالعَاتِ النُّوسِ
ولمَّا بدا بين أحبَّايهِ وِلَاةَ العُهُودِ وَعِزَّ النُّفُوسِ
غدا قمرًا بين أقماره وشمسًا مكحلةً بالشمسِ^(٢)

وقد كان الشعراء يكثرُونَ من ذكرها بأشعارهم، مقدمين التهنئة بهذه المناسبة الكبيرة في
تاريخ الحكم العباسي، ومنها قول الشاعر أبان بن عبد الحميد^(٣) في بيعة الرشيد للأمين، مظهرًا
سروره لهذه البيعة التي يتمنى لها التمام والتوفيق، موظفًا اسم الممدوح محمد في استخراج قيم
مدحية جميلة وذلك أنه يُشبهه اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أظهرته شمائله وهو
صغير كأنه شهاب في ظلمة، فيقول:

عقدَ الخليفةُ بيعةً لمحمدٍ فعلَى التمامِ
ليسمى مهديَّ الملوكِ كِ محمدٍ خير الأنامِ
سيما الخلافةَ بينَ في الوجهِ منه مع الفطامِ
نور كواضِحِ غرّةِ النورِ بدر المَنُورِ في الظلامِ^(٤)

() إبراهيم بن العباس الصولي، الديوان، أحمد جمال العمري، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م، ص (١٩٥).

() إبراهيم الصولي، الديوان، ص (٢٠٦).

() أبان بن عبد الحميد: أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عفير الرقاعي، شاعر مكثّر، من أهل البصرة، انتقل إلى بغداد واتصل بالبرامكة، فأكثر في مدحهم، اتصل بالرشيد فكان من شعرائه، ت (٢٠٠هـ/٨١٥م)، انظر: أبو فرج الأصفهاني، الأغاني، المجلد الثالث والعشرون، ص (٢٠).

() الصولي، أخبار الشعراء، المسمى كتاب الأوراق، جمعه، ج هيوارن، دن، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص (٢٢).

ويصور الشعراء إقبال الناس على ولي العهد، فهذا رجل من بني تميم يبين في ولاية عهد المهدي ، إجماع الناس عليه بالطاعة، كما يبين الشاعر صورة ولي العهد التي سيكون عليها، فهو الذي سينشر العدل في الأرض ليعمّ الناس جميعاً، وسيكون الخليفة بعد والده، فيقول:

يا ابن الخليفة إنّ أمّة أحمدٍ تآقت إليك بطاعة أهواؤها
ولتملأنّ الأرضَ عدلاً كالذي تآقت إليك بطاعة أهواؤها
حتى تمّنى لو ترى أمواتها من عدل حكمك ما ترى أحيائها
وعلى أبيك اليوم بهجة ملكها وغداً عليك إزارها ورداؤها^(١)

ولما لولاية العهد من أهمية، فصاحبها هو الخليفة المقبل، كان لا بد من التأكيد على سلامة من يتولى ولاية العهد، فإن كان ولي العهد غير مقبول، خُلع، وولي غيره. يذكر أن المعتمد جلس للقواد والقضاة، ووجوه الناس، وأعلمهم أنه خلع ابنه المفوض إلى الله جعفر من ولاية العهد، وجعل ولاية العهد للمعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق، فقال يحيى بن علي يهنئ المعتضد بولاية العهد^(٢):

ليهنك عقداً أنت فيه المقدمُ حباك به ربُّ بفضلك أعلمُ
فإن كنت قد أصبحت ولي عهدنا فأنت غداً فينا الإمامُ المعظمُ
ولا زال من ولاك فينا مبلغاً مناه، ومن عاداك يشجى ويُرغمُ
وكان عمودُ الدين فيه تآوُدُ فعاد بهذا العهد وهو مقومُ
وأصبح وجّه الملكِ جذلان ضاحكاً يُضيء لنا منه الذي كان يُظلمُ
فدونك فاشددْ عقداً ما قد حويته فإنّك دون التّاس فيه المحكّمُ^(٣)

يشير الشاعر إلى ناحية مهمة في منصب ولاية العهد، وهي التطلع إلى الخلافة التي سينالها بعد أبيه، فهو الأحق بها في المستقبل، حيث إنه منى الخليفة الذي وضعه في هذا المنصب، كما يشير إلى أهمية هذه المكانة من الناحية الدينية، فهو المقوم للدين، ليصبح به الملك فرحاً جذلان بعد أن كان مظلماً، فالشاعر يقدم تهنئة تحمل معنى جديد، وهي أن العقد يهنئ صاحبه، وذلك لأنه هو المقدم.

() الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج/ ٤، ص (٤١٠).

() ابن الأثير، الكامل في التاريخ، مجلد/ ٧، دار صادر، بيروت، لبنان، ص (٤٥٢).

() المصدر السابق نفسه، ص (٤٥٢).

يحرص الخلفاء على ولاة العهد، وبخاصة إذا أحسّ الخليفة بقدم الأجل، وإن الحياة الدنيا ليست دار خلود له، وإنه مفارقها في يوم ما، وفيها يقول أبو العتاهية عندما عقد الخليفة هارون الرشيد ولاية العهد لأبنائه الثلاثة فيقول:

تجافى عن الدنيا، فأيقن أنها مفارقة، ليست بدار خلود
وشدّ عرى الإسلام منه بفتية، ثلاثية أملاك، ولاة عهود^(١)
وفي مدحهم يقول أبو العتاهية، بأنهم خير الأبناء، لهم خبير الآباء والأجداد، أصحاب مهابة،
ويسهب الشاعر في المدح مصوراً أجدادهم بالشموس، والآباء بالأهلة، والأبناء بالنجوم، فيقول:

هُمُ خَيْرُ أَوْلَادٍ لَهُمْ خَيْرُ وَالِدٍ، لَهُ خَيْرُ آبَاءٍ، مَضَتْ، وَجُدُودِ
بنو المصطفى هارونَ حولَ سريره، فخيرُ قيامِ حوله، وقعودِ
نُقَلَّبُ الحَاظُ المَهَابَةَ بَيْنَهُمْ، عِيُونََ ظُبَاءٍ فِي قُلُوبِ أَسْوَدِ
جودٌ همُ شمسٌ أتت في أهلةٍ تَبَدَّتْ لِرَاءِ فِي نُجُومِ سَعُودِ^(٢)

ظلت ولاية العهد تستمد قوتها وشرعيتها من الخلافة نفسها في العصر العباسي، وفي هذا العصر يلحظ كثرة تغير ولاة العهود، حيث سار العباسيون على نظام تولية العهد أكثر من واحد، فمثلاً، ما قام به السفاح من عهد الخلافة إلى أخيه أبي جعفر المنصور، ثم إلى ابن أخيه عيسى بن موسى، فلما آلت الخلافة إلى المنصور خلع عيسى بن موسى، وبايع ابنه المهدي، وجعل عيسى من بعده، ولما ولي المهدي الخلافة خلع عيسى بن موسى من ولاية العهد، وولى ولديه الهادي ثم هارون الرشيد، وغير هذه الأمثلة كثير، فقد كان لهذه السياسية تأثير على كيان الدولة العباسية، وإثارة الفتن بين المتنافسين^(٣).

فقد كان لهذه السياسة التي يظهر فيها كثرة التبدلات بولاية العهد، أثر واضح على كثرة أشعار التهاني بهذه المناسبة التي صورها الشعراء بأشكال مختلفة، تملؤها الصور التقليدية، من الدعاء لولي العهد وربطه بالخليفة، ومدح للآباء والأجداد الذين استمدّ منهم ولي العهد مكانته، وبيان أهمية ولاية العهد، حيث ينظر الشعراء إليها على أنها الخلافة المستقبلية، إلا أن بعض

() أبو العتاهية، الديوان، مجيد طراد، الطبعة الأولى، ص (١٣٧-١٣٨).

() المصدر السابق نفسه، ص (١٣٨).

() انظر: حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج/٢، ص (٢٠٨-٢٠٩).

الشعراء حاول تقديم معاني جديدة للتهاني، وذلك في سبيل الارتقاء بالممدوح وإعلاء مكانته لجعل ولاية العهد تُهنئ صاحبها بما حازه.

ثالثاً: التهئة بالوزارة

الوزارة من المناصب العليا في الدولة، والوزارة كما يقول ابن خلدون، أم الخطط السلطانية والرتب الملوكية، لأن اسمها على مطلق الإعانة، فإن الوزارة مأخوذة إمّا من المؤازرة، وهي المعاونة، أو من الوزر، وهو الثقل، وكأنه يحمل مع مفاعله أوزاره وأتقاله، وهو راجع إلى المعونة المطلقة^(١).

ولمّا جاءت دولة بني العباس، ارتفع شأن الوزير، وصارت إليه النيابة في إنفاذ الحل والعقد، وعتت له الوجوه، وخضعت له الرقاب، والوزير أصبح ساعد الخليفة الأيمن، ينوب عنه في الحكم، وينصبّ العمّال، ويُشرف على الضرائب، ويجمع في شخصه السلطتين المدنية والحربية، بجانب الواجبات العادية من نصح الخليفة ومساعدته^(٢).

ويذكر القلقشندي: إن الوزارة كانت في الزمن المتقدم هي أرفع وظائف المملكة، وأعلىها رتبة، وإنها الرتبة الثانية بعد الخلافة وكانت في زمن الخفاء، تكاد أن تكون كالسلطة الآن، فهي من الأتباع، ومن في معناهم على نحو ما كانت في الزمن المتقدم بين الرؤساء والأكابر^(٣).

ويظهر الشعراء مكانة الوزارة، كما يصورها الشاعر مهيار الديلمي في جعل العلا يحوم حول الوزارة، وأهميتها للملك في تهئة يقدمها إلى عميد الدولة أبي سعد بن عبد الرحيم بالوزارة، حيث يقمّ الشاعر معنى جديد للتهاني وذلك بأنه يهنئ اليوم الذي تولى به الممدوح الوزارة، فيمدح الشاعر الوزارة لأنّ الممدوح تولى إدارتها، حتى تصبح الوزارة لا تصلح إلا له، فيقول:

على مثلها كان العلا يحومُ وتعد بالملك المئى وتقومُ
ويخفق قلب الدهر شوقاً وتلتظى إلى الرى أيام لو اغب هيمُ
هنا اليوم هذا الأمر أنك ربّه وكافله بالرأي وهو يتيمُ

() ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، ج/١، دار الفكر، ص (٢٣٦).

() المصدر السابق نفسه، ص (٢٣٧-٢٣٨).

() القلقشندي، صبح الأعشى، شرح، يوسف علي طويل، الطبعة الأولى، ج/٩، دار الفكر، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م،

ص (٤).

فلا لعنت أم الوزارة إيتها لأنجب أنثى يوم عنك تقوم
لقد ولدت منك الذي لا أخاله وهل تلد العذراء وهي عقيم^(١)
وقد تكون التهنية مناسبة لعرض الحال، وقضاء الحوائج، فقد قال محمد بن العلاء السجزي: لمّا
ولي عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة، رفع إليّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر رقعة فيها
تهنية بالوزارة، فأوصلتها إلى عبيد الله بن سليمان، ومنها:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا فأسعفنا في من أحبّ ونكرم
فقلت له نعماك فيهم أتمها ودع أمرنا إن المهّمّ المقدم^(٢)
فضحك وقال لي: يا أبا عليّ، ما ترى كيف لطف بشكوى حاله في تهنته؟ امض إليه
فأبلغه سلامي، وجنني برقاعه في حوائجه، فمضيت وجنته برقاعه، فوقع في جميعها بما
أحب^(٣):

وتحتل الوزارة مكانة مهمة في الدولة الإسلامية، فقد قال الله تعالى، حاكياً عن موسى
عليه السلام: واجعل لي وزيراً من أهلي^(٤)، ولما في الوزارة من حكمة وأهمية، فقال: أشدد به
أزري، وأشركه في أمري^(٥)، فقد دلت هذه الآية على أن الوزارة تشد قواعد المملكة، وتنظم
أمورها.

وكان يشترط في الوزير لأهمية منصبه باعتباره وسيطاً بين الملك ورعيته، القبول
والمحبة و الرضى ، وأن يكون أميناً شجاعاً، وأن تتوافر فيه الكفاءة والشهامة والفتنة والتيقظ
والدهاء والحزم، وكذلك الفضل والكرم ليصطنع الأنصار، والرفق والإنابة والتثبت في الأمور^(٦).

ومن الأمور التي يُظهرها الشعراء في تهنتهم لصاحب الوزارة، كما هو الحال في
المناصب العليا الأخرى في الدولة، بيان مدى الرضى عنه، والإقبال على صاحب هذه المكانة

() مهيار الديلمي، الديوان، روائع التراث العربي، الطبعة الأولى، ج/٣، دار الكتب المصرية، ص (٢٧٦) - (٢٧٧).

() ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مجلد/ ٤، ص (١٥٧-١٥٨).

() المصدر السابق نفسه، ص (١٥٧-١٥٨).

() سورة طه، الآية (٢٩).

() سورة طه، الآية (٣١).

() إبراهيم سليمان الكردي، نظام الوزارة في العصر العباسي الأول، مركز الإسكندرية للكتاب، د.ط، ص (٣٢).

المرموقة، ومنها يمدح البحري أبا أيوب سليمان بن وهب^(١)، ويهنته بالوزارة، مبيناً حال النفوس في الرضى عنه، فهو الذي سيعيد الفرحة والحياة إلى هذه الديار بعدما أصابها القحط والإصفرار، وبذلك فإن النعمة تهنى أبا أيوب، فيقول:

أَرْضَى الزمانُ نفوساً طالما سَخِطت وأَعْتَبَ الدهرُ قوماً طالما عَتَبُوا
وَأَكْسَفَ اللهُ بِالْكَاشِحِينَ عَلَى وَعَدَّ وَأَبْطَلَ مَا قَالُوا وَمَا كَذَّبُوا
لنَهْنِكَ النِّعْمَةُ الْمُخْضِرُ جَانِبُهَا من بَعْدِما اصْفَرَ في أَرْجَائِهَا العُشْبُ^(٢)

يعد الوزير عوناً للخليفة في تحمل المسؤوليات، وفي هذا عبر الشاعر سلم الخاسر في تهنته يعقوب بن داود بالوزارة في عهد المهدي، ليمدح الخليفة والوزير معاً. فالإمامة حق إلهي من السماء، ويعقوب أخوه في الله، ورباط التقوى يجمع بينهما للتعاون على حمل مسؤولية الحكم وأعباء الخليفة، فيقول:

قُلْ لِلإِمَامِ الَّذِي جَاءَتْ خِلافَتُهُ تُهْدِي إِلَيْهِ بِحَقِّ غَيْرِ مَرْدُودِ
نَعْمَ المَعِينُ عَلَى التَّقْوَى أَعْنَتْ بِهِ أَخْوَكَ فِي اللهِ يَعْقُوبُ بْنُ داوُدِ^(٣)

وللوزارة شروط، وقد يلجأ الشاعر إلى الإشارة إليها، ومنها أهمية اختيار الرجل المناسب في المكان المناسب، فقال زيد السندي يهنئ الوزير يعقوب بن كلس بوزارة العزيز^(٤) بمصر، مشيراً إلى انسجام العلاقة بين الوزير ووزارته، فكان الوزارة عروس عاشقة لمحبوبها، مستفردة بحبها له، وإنها تأبى الانقياد لأي شخص غير الوزير يعقوب، فيقول:

إِنَّ الوِزارَةَ لَمْ تَزَلْ صَابَةً تهواك لَمْ يَخْطُرْ سِوَاكَ بِبِالِها
خُطِبَتْ فَلَمْ تُعْطِ القِيادَ لِطالِبِ وَأَبَتْ عَلَى طِلابِها بِوصالِها^(٥)

() سليمان بن وهب: (ت ٢٧٢هـ) كان وزيراً للمهدي وهو أخو الحسن بن وهب الكاتب، انظر: الأغاني، مجلد ٢٣، ص ٣.

() البحري، الديوان، ج ١/ ص (٧٦).

() سلم الخاسر، الديوان، ص (٩٨).

() العزيز بالله، هو نزار بن المعز بن المنصور بن القائم بن المهدي، كان كريماً وشجاعاً، وحسن العفو عند المقدرة، ت (٣٨٦هـ)، انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق، إحسان عباس، مجلد ٥، ص (٣٧١).

() النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: يحيى الشامي، الطبعة الأولى، ج ٤/٢٥، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م، ص (١٢٤).

وهذا أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابي يشير إلى هذه العلاقة المنسجمة بين الوزارة وصاحبها في تهنئة يقدمها إلى وزير مُعاد إلى عمله، فيقول:

قد كنت طَلقتَ الوزارةَ بعدما زلتَ بها قَدَمٌ وساءَ صَنِيعُها
فغدتَ بغيركَ تستحيلُ ضرورةً كيما يحلُّ إلى ذراكِ رجوعِها
فالآنَ قد أبيتَ وآلتَ حلفةً أن لا يبيتَ سواكَ وهو ضجيعُها^(١)

يشير الشعراء إلى مدى العلاقة بين الخليفة والوزير، ويظهروها في كثير من الأشعار التي قيلت بالتهنئة بهذه المناسبة، وهي علاقة تبدو أنها وثيقة الترابط، حيث كانت تصور بصور مختلفة، فقد ذكر أنّ موقع الوزارة في الدولة كموقع المرأة من البصر، فكما أن مَنْ لم ينظر في المرأة لا يرى محاسن وجهه وعيوبه، كذلك السلطان إذا لم يكن له وزير، لا يعلم محاسن دولته وعيوبها، وموضع الوزير من الدولة، كموضع العينين من الرأس، وكما أن المرأة لا تريك وجهك إلا بصفاء جوهرها، وجودة صقلها ونقاؤها من الصدا، كذلك السلطان لا يكمل أمره إلا بجودة عقل الوزير^(٢).

وفي هذه العلاقة بين الخليفة والوزير، دُكر أنّ الرشيد قلّد يحيى بن خالد بن برمك الوزارة، وقال له: قد قلّدتك أمر الرعية، وأخرجته من عنقي إليك، فاحكم في ذلك بما ترى من الصواب، واستعمل من رأيت، واعزل من رأيت، وامض في الأمور على ما ترى، ودفع إليه خاتمه^(٣).

ففي ذلك يقول إبراهيم الصّولي، ت(٣٣٦):

ألم ترَ أن الشمسَ كانت سقيمةً فلمّا ولي هارونُ أشرقَ نورُها
بيؤمن أمين الله هارونَ ذي الندى فهارونُ وإليها ويحيى وزيرُها^(٤)

() (الثعالبي، خاص الخاص، شرح وتعليق: مأمون بن محي الدين الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص (٢٠٨-٢٠٩).

() (شهاب الدين الألبشيحي، المستطرف في كل من مستطرف، شرح: مفيد محمد قميحة، ج ١، ص (١٠٣).

() (الطبري، تاريخ الطبري، مجلد/ ٤، ص (٦١٩).

() (المصدر السابق نفسه.

رابعاً: التهنئة بالولايات:

عندما اتسعت رقعة الدولة، أصبحت هناك حاجة إلى التقسيمات الإدارية، وهنا ظهرت الولايات، وقام الخلفاء بوضع ولاية يشرفون على الأمصار والأقاليم، يديرون شؤونها، وكان للولاية مهام تُوكل إليهم، فهم ينظرون في تدبير الجيوش، وسياسة الرعية، وتقليد القضاة، وجباية الخراج، وقبض الصدقات، وتقليد العمّال، وحماية الدين، والذب عن الحريم، وإقامة الحدود في حق الله، والإمامة في الجمع والجماعات، وغيرها من المهام^(١)، والولاية من المناصب المهمة في الدولة، فقد وصفت بأنها حلوة الرضاع، مرّة الفطام^(٢).

ومن تهاني الولاية ما أسند إليهم من المناصب العامة في الدولة، ما قاله البحري في تهنئة يوسف بن محمد بن يوسف في ولايته^(٣):

ولتهنئتك الآن الولاية إتهها
لم تُعطيها أملاً ولم تشغل بها
ورأيت نفسك فوقها وهي التي
وصاتك حين هجرتها وتزيّنت
طلبك من بلد بعيد المنزع
فكراً ولم تسأل لها عن موضع
فوق العلي من الرجال الأرفع
بأعراً وافي الساعدين سميّدع^(٤)

فالشاعر يُهنئ الولاية التي وليها، فقد جاءت الولاية إليه منقادة من بلد بعيد، ويُعلي الشاعر مكانة ممدوحه بقوله مع أن الولاية عالية المقام، إلا أنه رأى نفسه أعلى منها مقامة لذلك لم يشغل باله ولا فكره في الوصول إليها، وهذه صورة يُكثر الشعراء من استخدامها لبيان قدر الممدوح (المُهَنَّا)، فنجد المتنبي في إحدى قصائده، يُهنئ أحدهم في انضمام إحدى المدن إلى ولايته، متسائلاً هل يُهنئ ممدوحه بولاية صور؟ أم يُهنئ صور به؟ فعلى الرغم من أن هذه الولاية عظيمة الشأن، إلا أنها تصغر بالإضافة إلى الممدوح، حتى أن هذه البلاد أصبحت تتحاسد على ولايته، لو كانت هذه البلاد أناساً لسارت إليه من الشرق والغرب، فيقول:

() حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، الطبعة الثالثة عشرة، ج/٢، دار الجيل، بيروت، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ص (٢١٦-٢١٧).

() الجاحظ، المحاسن والأضداد، عاصم عيتاني، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص (٤٦).

() البحري، الديوان، ج/٢، ص (٧١٧).

() السميّدع: السيد الكريم، الشجاع، المعجم الوسيط.

تُهَنَّأُ بِصُورِ أَمْ تُهَنَّئُهَا بِكَمَا وَقَلَّ الَّذِي صُورٌ وَأُنْتِ لَهُ لَكَا
وَمَا صَغُرَ الْأَرْضُ وَالسَّاحِلُ الَّذِي حُيِّتَ بِهِ إِلَّا إِلَى جَنْبِ قَدْرِكََا
تَحَاسَدَتِ الْبُلْدَانُ حَتَّى لَوْ أَتَهَا نُفُوسٌ لَسَارَ الشَّرْقُ وَالْغَرْبُ نَحْوَكَا^(١)

ألح الشعراء على تصوير ممدوحهم، وقد علا شأنهم، وعظم أمرهم، فهذا ابن الرومي يقدم تهنئة لعبيد الله بن عبد الله بولاية، حيث يرى أن الملك قليل عليه، حتى لو أنه استلم مجموعة من الأقاليم، إلا أنها تبقى قليلة عليه، وهي فكرة جديدة يقدمها الشعراء في تقديمهم للتهاني بهذه المناسبات، فيقول:

قَلَّ لَكَ الْمُلْكُ وَلَوْ أَتَاكَ مَجْمُوعَةٌ فِيهِ الْأَقْصَالِيمُ
وَاللَّهُ يُبْقِيكَ لَنَا سَالِمًا بُرْدَاكَ تَبْجِيلٌ وَتَعْظِيمُ^(٢)

ويعبر الشعراء عن مشاعرهم، ووصفهم إيّاها بما آلت إليه مكانة ممدوحهم من الرفعة، وبيان تقصير شعرهم أمام فضلهم، فيقول إبراهيم بن العباس الصولي في تهنئة بولاية:

مَا جُدَّدَتْ لَكَ نُعْمِي وَإِنْ عَظُمَتْ إِلَّا يُصَغِّرُهَا الْفَضْلُ الَّذِي فِيكََا
لَا زِلْتَ مُسْتَحْدَثًا نُعْمِي تُسَرُّ بِهَا عَلَى الزَّمَانِ وَلَا زِلْنَا تُهْنِيكََا^(٣)

ويزخر العصر العباسي فيما كتب عن وصف المشاعر، والتعبير عن مكونات النفس شعراً كان أم نثراً في التهاني بالمناصب السياسية في الدولة، سواء كان ذلك لغاية التقرب والتحبب، أو للمصلحة والعطايا، مثالها ما قيل في التهنة بالولاية، حيث كتب بعض الكتاب يقول: بلغني خبر الولاية التي وليتها، فكنت شريكك في السرور، وعديك في الارتياح، فسألت الله أن يُعزِّقَ يمينها وبركتها، ويرزقك خيرها وعادتها، ويُحسن معونتك على صالح نيتك في الإحسان إلى أهل عملك، والتألف لهم، واستعمال العدل فيهم، ويرزقك محبتهم وطاعتهم، ويجعلهم خير رعية^(٤).

() (المتنبي، الديوان، ج/١، ص (٢٤٢-٢٤٣).

() (ابن الرومي، الديوان، شرح عبد الأمير علي مهنا، الطبعة الأولى، ج/٦، مكتبة دار الهلال، بيروت، ص(٧٧).

() (الصولي، الديوان، ص (٢١٦).

() (ابن قتيبة، عيون الأخبار، مجلد/٣، ص (٧٢).

ومما ركز الشعراء عليه في مدح الولاية حسن السياسة، والتصرف في الولاية، ومنها وصف البحترى إبراهيم بن المدبر، في حسن أفعاله في الولاية، حيث يشير الشاعر إلى ناحية مهمة في هذا المنصب، وهو الاستقامة في التصرف بما تحت يده من نفوذ وأمالك، وجعل ممدوحه بعيداً عن كل عيب ونقص، كما أنه يتمتع بالقوة والعظمة في تصديه للمصائب العظيمة، ليصبح بالنسبة إلى الناس كمن يستعذب الماء، ويرقق النسائم صيفاً، فيقول:

مَا تَصْرَفْتَ فِي الْوَالِيَةِ إِلَّا فُزْتَ مِنْ حَمْدِهَا بِحَظِّ جَسِيمِ
لَمْ تَزَلْ مِنْ عُوبِهَا أَبْيَضَ الثَّوْبِ بِ وَمِنْ دَائِهَا صَحِيحَ الْأَيْمِ
هَذِهِ الْبَصْرَةُ اسْتَغَاثَتْ إِلَى ذِي بِكَ عَنْهَا وَسَيِّئِكَ الْمَقْسُومِ
قُمْتَ فِيهَا مَقَامَ مُسْتَعَذِبِ الْمَا ءِ مَصِيْفًا وَمُسْتَرْقِ النَّسِيمِ
وَدَفَعْتَ الْعَظِيمَ عَنْهَا وَلَا يَدُ فَعُ كُرَّةَ الْعَظِيمِ غَيْرَ الْعَظِيمِ^(١)

يجعل الشعراء صفات الممدوح أهلاً للتهنئة التي يقدمونها في تهنئتهم بالولاية، ومنها عندما ولي الرشيد جعفر بن يحيى خرسان، فجلس للناس يهنئونه، وأنشده الشعراء، ودخل في آخرهم أشجع السلمى، فقال: أتأذن في إنشاد شعر قضيت به حقّ سوّدك وكمالك، وخفقت به ثقل أيديك عندي؟ فقال: هات يا ابا الوليد: فإنك أكثر شعرائنا برّاً بنا فأنشده:

إِلَى جَعْفَرٍ نَزَعَتْ رَغْبَةً وَأَيُّ فَتَى نَحْوَهُ تَنْزَعُ
بِدَيْهْتُهُ مِثْلَ تَدْبِيرِهِ مَتَى رَمْتَهُ فَهُوَ مُسْتَجْمِعُ
إِذَا هُمْ بِالْأَمْرِ لَمْ يُنْتَهَ هَجْوَعٌ وَلَا شَادِقُ أَفْرَعُ
يُرِيدُ الْمُلُوكَ مَدَى جَعْفَرِ وَلَا يَصْنَعُونَ كَمَا يَصْنَعُ
وَلَيْسَ بِأَوْسَعَهُمْ فِي الْغَنَى وَلَكِنْ مَعْرُوفُهُ أَوْسَعُ
يَلْبُودُ الْمُلُوكَ بِأَرَائِهِ إِذَا نَالَهَا الْحَدَثُ الْأَفْظَعُ
فَقَلَّ لْخَرْسَانَ تَحِيًّا فَقَدْ أَتَاهَا ابْنُ يَحْيَى الْفَتَى الْأَرْوَعُ^(٢)

فالشاعر ينزع بهذه التهنئة بالولاية إلى جعفر، الذي يمتاز بصفات وصناعات كبيرة، قد تجعله فوق الملوك، حتى أن الملوك أنفسهم يريدون أن ينالوا رضاه وغاياته، فهو صاحب

() البحترى، الديوان، ج/٢، ص (١١٤٣).

() أشجع السلمى، الديوان، ص (٢٢٧).

المعروف الذي يفوق معروف الملوك، وإن كان أقلهم غنى، كما يستطرد الشاعر بأوصاف ممدوحه، فهو صاحب الرأي السديد الذي يلجأ إليه الملوك إذا ما عظمت الأمور، وتفاقت الأحداث، لما يملكه من الحكمة والفتنة، فهو دائم الاستعداد للحلول متى يُطلب، مبيناً أن فتى بهذه الصفات لا بُدَّ أن تحيا به ولاية خراسان، فهو الأروع لها.

ومما جاء في التهاني بالولاية، ما خُلع على أشخاص من أعمال ومهمات، لما يملكونه من كفاءة وقدرة في إدارة هذه الأعمال، ومنها ما قاله ابن الرومي في القاسم بن عبيد الله، وكان قد خلع عليه المعتضد بالله وضمَّ إليه بعض أعماله، فقال:

لا زلت أبيضَ غُرةً وأيادٍ تبدو لنا في سُوددٍ وسوادٍ
خُلعَ عليك جمالها وجلالها أيامُها للناس كالأعيادِ
قسماً لقد رضيتك أعينُ معشر من وامقين وشانئين أعادي
متدرعاً خلعاً أنستَ بلبسها أنس المعوِّدُ لبسها المعتادِ
خُلعَ الإلهُ عليك يوم لبستها هذي الشُّكُورُ وبهجة المُزداٍ
وكساك من خُلعِ القلوب محبةً كمحبةِ الأبياءِ للأولادِ^(١)

يخلع الشاعر على ممدوحه عدداً من الصفات التي تتناسب والأعمال التي أسندت إليه، فهو مؤيد بما تولى من مهمات، صاحب سُودد، يتمتع بتأييد من الوري، حتى أن المبعض نظر إليه بعين ملؤها الرضى، ويثني الشاعر على ممدوحه هذه المكانة، ويشير بذلك بكلمة (اللباس) التي أكثر ما تدل على ذلك الترابط والتلاصق بين الممدوح، وما أسند إليه من عمل.

ولعلَّ ما يمكن الإشارة إليه في هذا الفصل، ما كان هناك من شواذ التهاني (كما سُميت في بعض المصادر)^(٢)، بهذه المناصب السياسية.

على أنّ هذا اللون من ألوان التهاني، لا يكاد يُنبى - ولو على نحو - بمعنى الفرحة والسرور في نفس صاحب المناسبة، ومع ذلك يسعى بعض أصدقائه في محاولة إقناعه أنّ ما

() ابن الرومي، الديوان، ج/٢ ص (١٨٠).

() انظر: ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مجلد/٤، ص (١٨٤)، وانظر القلقشندي، صبح الأعشى، ج٩، ص

طاله إثمًا يدعو في حقيقة الأمر إلى التهئة^(١)، ومثال ذلك ما كان في التهئة بال عزل عن عمل
حيث يقول إبراهيم بن عيسى الكاتب مهنةً إبراهيم بن المدبر، ت(٢٧٩هـ) بال عزل عن عمل:

لتهن أباً إسحاق أسباب نعمة مُجَدِّدٌ بِالْعِزْلِ، وَالْعِزْلُ أَنْبَلُ
شهدتُ لقد مَنَّوا عليك وأحسنوا لأتُك يوم العزل أعلى وأفضل^(٢)
ويقول آخر فيما يشبهه:

إن الأمير هو الذي يُضحي أميراً عند عزله
إن زال سلطان الولا ية فهو في سلطان فضله^(٣)
في حين كتب سعيد بن حميد إلى بعض إخوانه يهنئه بعزل عن ولاية، فيقول:

فمن يكن بورود العزل مكتئباً فأنتي بورود العزل مسروراً
بعد الولاية عزلاً يستبين به طول الولاية، وبعد العزل تأميراً^(٤)
يبدو أن العزل لا يقدر في قدر الممدوح، بل هو أنبل وأفضل، والفضل والنبل لا يُنقل في
تنقل الأعمال، بل هو ثابت في حالتي الولاية والعزل، ولعله في العزل يكون أعلى، وقد يكون
هذا من باب التلاطف والمجاملات.

() محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص (٢١٦).

() ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مجلد/ ٤، ص (١٨٦).

() المصدر السابق نفسه، ص (١٨٦-١٨٧).

() يونس أحمد السامرائي، شعراء عباسيون، الطبعة الأولى، ج/٣، مكتبة النهضة العربية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م،
ص (١٧٥).

الفصل الثاني

المنحى الديني في شعر التهاني

شكلت المناسبات الإسلامية مادة خصبة للشعراء منذ صدور الإسلام إلى يومنا هذا وتفاوت إحساسهم بها قوة وضعفاً، عبادة وعادة، ومن أهم هذه المناسبات، رمضان، والحج، والعديد.

- التهنئة بقدوم شهر رمضان

لم يكن شهر رمضان بكل ما يتضمنه من معانٍ دينية وروحية بالمناسبة التي يغفلها الشعر، ولذلك وجدنا الشعراء يحتفلون بهذا الشهر الكريم من خلال تقديم التهانئ الشعرية التي تجمل القيم الدينية في الصيام، فهي فريضة ظاهرها الحرمان وباطنها الرحمة، وآثارها تعلم المكلفين الصبر، والخشوع، وتحضهم على الصدقة، وترك العادات غير المحببة، والتمسك بأهداب الدين طلباً للعتق والمغفرة، فكان لشهر رمضان حظ من الشعر بين ترحيب بمقدمه، ورصد لأحداثه، ومظاهر الاحتفاء به، وذلك باعتباره شهر الفوز كما يشير إلى ذلك علي بن جبلة في دخوله على حميد الطوسي^(١) في أول يوم من رمضان يهنئه بدخول هذا الشهر، مبيناً مظاهر الاهتمام بشهر رمضان، من قراءة القرآن وهجر للندمان، وزيادة للفضائل وأعمال الخير، فيقول:

جعلَ اللهُ مَدخلَ الصَّومِ فوزاً لحميد ومتعة في البقاء
فهو شهرُ الريعِ للقراء وفراق الندمان والصبهاء
وكأني أرى الندامى على الخس فـ يرجون صـحبهم بالمساء
قد طوى بعضهم زيارة بعض واستعاضوا مصاحفاً بالغناء^(٢)

ويستغل الشعراء هذه المناسبة الدينية للوصول إلى الخلفاء والأمراء، فهذا هو الشريف الرضي الذي أراد مدح الخليفة الطائع لله، طالباً الإذن بالوصول إلى حضرته، متسائلاً متى تتاح له فرصة الوقوف بين يدي الخليفة، صاحب العطف والإحسان، مسترسلاً في مدحه وبيان مكانته، فهو الأعلى والأفضل، مكثراً الشاعر من صيغ التفضيل، فهو أطول العظماء، والندي إذا جفت الأرض، البعيد عن كل عيب وعار، ذو الجانب المنيع، والغلبة في كل معترك، وما ذاك كله الا طلباً لنواله، فيقول^(٣):

متى أنا قائمٌ أعلى مقام ولاق نُورَ وجهك بالسلام

() حميد بن عبد الحميد الأمير أبو غانم الطوسي، توفي يوم عيد الفطر، بقم الصلح، سنة (٢٢٠هـ)، الصفيدي

الوافي بالوفيات، محمد الحجيري، دار نشر شتايز بفيسبادن، ج/١٣، ص(١٩٧).

() علي بن جبلة، الديوان، جمع وتحقيق: زكي ذاکر العاني، مطبعة دار الساعة، بغداد، ١٩٧١م، ص ٣٠.

() الشريف الرضي، الديوان، محمد مصطفى حلاوي، الطبعة الأولى، ج٢، ص ٣٥٣.

ومُنْصَرَفٌ، وَقَدْ أَثْقَلَتْ عَظْفِي
 أَيْعَتْرُقُنِي الطَّوَى وَالرَّوْضُ حَالِ
 وَأَنْتُمْ أَطْوَلُ الْعُظْمَاءِ طَوِلاً
 وَأَبْعَدُ مَوْطِنَاءَ مَنْ كَلَّ عَارِ
 وَأَجْرِي عِنْدَ مُخْتَلَفِ الْعَوَالِي
 مِنْ النَّعْمَاءِ وَالْمِنَنِ الْجِسَامِ^(١)
 وَيَغْلِبُنِي الظَّمَا وَالْبَحْرُ طَامًا؟^(٢)
 وَأَنْدَى فِي الْمُحُولِ مِنَ الْعَمَامِ^(٣)
 وَأَمْنَعُ جَانِباً مَنْ كَلَّ ذَامِ
 وَأَفْلَجُ عِنْدَ مُعْتَرِكِ الْخِصَامِ

ويسترسل الشاعر بمدح الخليفة الطائع لله، وتهنئته بقدم الصيام، فيرى ممدوحه صائماً
 عن الآثام على طول الزمان، كما يستغل الشاعر هذه المناسبة ليشيد بأصول ممدوحه التي ينتمي
 إليها، فالآباء مضوا وقد خلا قولهم من الفحش، والأمهات عفيفات، فيقول^(٤):

بِأَبَاءِ مَضُوءٍ، وَهُمْ عَوَارِ
 وَأُمَّهَاتٍ دَرَجِنَ عَلَى اللَّيَالِي
 تَهَنُّنٌ قُدُومَ صَوْمِكَ يَا إِمَاماً
 إِذَا مَا الْمَرْءُ صَامَ مِنَ الدَّنَايَا
 مِنْ الْقَوْلِ الْمُهَجَّجِ وَالْمَلَامِ^(٥)
 وَهُنَّ أَصْحُ مَنْ بَيَضَ النَّعَامِ
 يَصُومُ عَلَى الزَّمَانِ مِنَ الْأَثَامِ
 فَكُلُّ شُهُورِهِ شَهْرُ الصِّيَامِ

وفي قدوم رمضان يُظهر الشعراء الغاية والرجاء في هذا الشهر، كما يصورها الصنوبري في
 تهنئة لأحدهم، بنيله مبتغاه، ووقاية الإله له في هذا الشهر، ليغدو بين الناس كحال شهر رمضان
 بين الأشهر، بل مثل ليلة القدر في شهر رمضان من الفضل والمكانة العالية، فيقول:

نَلْتِ فِي ذَا الصِّيَامِ مَا تَرْتَجِيهِ
 وَأَنْتِ فِي النَّاسِ مِثْلُ ذَا الشَّهْرِ
 وَوَقَاكَ الْإِلَهُ مَا نَتَّقِيهِ
 فِي الْأَشْهُرِ بَلْ مِثْلُ لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِيهِ^(٦)

وفي موقع آخر، يهنئ الصنوبري أبا الحسين بن مقاتل بسعادة الصوم والإفطار، وبتقواه
 في هذا الصيام، ليعمر مقبول الصيام، مجتنب الآثام، وافية الشهر حقه من الصيام والقيام، فيقول:

() المنن: مفرد ما منة، مادة (من).
 () الطوى، الجوع، مادة (طوى)، حال: أورك وأثمر، مادة (حلى). الطام، الماء الكثير المرتفع، مادة (طما).
 () المحول: مفرد ما (المحل)، المجدب.
 () الشريف الرضي، الديوان، ج/٢، ص ٣٥٤.
 () المهجن: القبيح، مادة (هجن).
 () الصنوبري، الديوان، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٨م، ص

بِالسَّعْدِ صُوتَ وَبِالسَّعَادَةِ نُفْطَرُ وَعَلَى الثَّقَى تَطْوِي الصِّيَامَ وَتَنْشُرُ
عُمِّرَتْ مَقْبُولَ الصِّيَامِ مُجْتَبِ الْ أَثَامَ مَا دَامَ الصِّيَامُ يُعَمَّرُ
وَقِيَّتَ هَذَا الشَّهْرَ حَقَّ صِيَامِهِ وَقِيَامِهِ فِي الْأَمْنِ مِمَّا تَحْتَرُ^(١)

فما يأتي شهر رمضان حتى يتتسم الشعراء عبيره، ويتفجر الشعر ابتهاجاً بقدمه، ويتقنون في وصف هلال رمضان الذي يعد إمارة خير، وبشارة يمن وبركة، معبرين عن ذلك بأجمل العبارات شعراً ونثراً، فهذا بديع الزمان الهمذاني يقدم تهنئة بإقبال رمضان : (ساق الله سعادة إهلاله، وعرفك بركة كماله، أسهم الله لك في فضله، ووقفك لفرضه ونقله، جعل الله ما أظلك من هذا الشهر مقروناً بأفضل القبول، مؤذناً بدرك البغية، ونجح المأمول، ووقفك الله لتحصيل أجر المتجهدين والمجتهدين)^(٢).

ومن الأحوال التي تكررت في الشعر اقتران التهاني الرمضانية بمدائح الخلفاء والأمراء، ودعوة الشعراء الى الاهتمام بمظاهر هذا الشهر من زيادة الفضائل وأعمال الخير، وبيان قيمة هذا الشهر الذي يتبادل الناس فيه التهاني بدرك المأمول، مظهرين ما فيه من الخير ، داعين للمهنأ بنيل أجره، وتعظيم ثوابه، وقبول طاعته.

التهنئة بأداء فريضة الحج

الحج فريضة لتطهير النفس من الذنوب والآثام، وتوحيد الأمة الإسلامية حيث تتوحد في الحج مشاعر المسلمين، وأهدافهم وغاياتهم، كما أنه ركن ديني مهم، تتقارب فيه الأهواء وتتحد الأفئدة .

وللحج مظاهر في التكافل والتواصل الاجتماعي في صلة الأقرباء والخلان، حيث يودع الحاج عند سفره، ويهنأ عند قدومه، فيعزز الحج التماسك والوحدة الاجتماعية في هذه اللقاءات التي تلتقي فيها القلوب، وتتعزز فيها الصلات، فتكون الفرحة غامرة، والسعادة كبيرة، حينما ينهي الحاج مناسك الحج.

() الصنوبري، الديوان ، ص ٣١ .

() الثعالبي، لباب الآداب، تحقيق أحمد حسن بسج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص ٥٥، وانظر: أحمد الهاشمي، جواهر الأدب، الطبعة الثالثة، ج ١، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ص ١٢٠-١٢١ .

انتَهز الشعراء موسم الحج فرصة لتقديم التهاني للمدوحين، لما لها من أهمية دينية لدى المسلمين، ولما لاقدم الحجاج من أثر مبهج في النفوس، وأكثر ما كانت تتجلى هذه الصور حينما يكون الحاج خليفة، أو أميراً، فتغدو معالم الفرح والغبطة واضحة كل الوضوح، كما يصورها محمد بن وهيب الحميري^(١) في تهنئة المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي بقدمه من الحج، مبيناً أثر غيابه وبعده عنهم، وإشفاقه عليه من البعد، وذلك لما يتمتع به بمدوحه من المحاسن في الجود والكرم، حيث إن الكرم يحل حيثما ينزل، ويعطي الشاعر من شأن المدوح حتى يرى بأن الأماكن الدينية المقدسة: مثل الحطيم، وزمزم، ومنى، تفخر بالذي نزل بها، ليعيد إلى أكناف مكة تلك البهجة الخزاعية الجليلة والكريمة، التي حن إليها الركن في مجيئه إليها حاجاً، فيقول:

وما زلت أسترعى لك الله غائباً وأظهرُ إشفاقاً عليك وأكرمُ
وأعلمُ أن الجودَ ما غبتَ غائبُ وأنَّ الندى في حيثُ كنتَ مُخيمُ
إلى أن زجرتُ الطيرَ سعداً سوانحاً وحُمَّ لقاءً بالسُّعودِ ومقَدَمُ
سيفخرُ ما ضمَّ الحطيمُ وزمزمُ بمطلبٍ لو أنه يتكلمُ
أعدتُ إلى أكنافِ مكة بهجة خزاعيَّة كانت تُجلُّ وتُعظمُ
وحنَّ إليك الركنُ حتى كأنه وقد جنَّته خِلُّ عليك مُسلمُ^(٢)

وكان لأهل العصر العباسي تعبيرات في التهنة بالحج، وتفخيم أمر الحرم، وتعظيم أمر المناسك والشعائر، ومنها ما قيل: (قصد البيت العتيق، والمطاف الكريم، والملتمز النية، والمستلم النزيه، وقف بالمعرف العظيم، وورد زمزم والحطيم، حرم الله الذي أوسعه للناس كرامة، وجعله لهم مثابة، وللخليل خطة، وللذبح حلة، ولمحمد صلى الله عليه وسلم قبلة، ولأمته كعبة، ...) (٣).

ومن الخلفاء العباسيين الذين ألفوا الحج هارون الرشيد، حيث إن الحكاية معروفة عنه بأنه كان يحج عاماً، ويغزو عاماً^(٤)، فهذا أشجع السلمي يشير في تهنة له بقدمه من الحج، حيث قدم

() محمد بن وهيب الحميري: شاعر من أهل بغداد، من شعراء الدولة العباسية، أصله من البصرة، كان يستمنح الناس بشعره، ويتكسب بالمديح. الأصفهاني، الأغاني، مجلد/١٩، ص (٣) .

() يونس السامرائي، شعراء عباسيون، الطبعة الثانية، ج١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩٠م، ص(٩٣) .

() الحصري، زهر الآداب، زكي مبارك، الطبعة الأولى، ج٣، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص ١٠٩٧ .

() انظر، الطبري، تاريخ الطبري، مجلد/ ٥، ص ١٦ .

هارون الرشيد وقد مُطّر الناس، فاتخذ الشاعر منها مناسبة جميلة لهذا القدوم الذي جلب الخير والأمطار الغزيرة التي تبسّمت لها الأرض بمقدم هارون الذي يغض الطرف حياءً وخوفاً من الله عز وجل، في حين تنكسر العيون أمامه لهيبته ووقاره، فقد ألف الحج والجهاد معاً، ولعل الفعل (ألف) يشير أكثر ما يشير إلى هذه الرابطة والعلاقة القوية التي تربط هارون الرشيد بهاتين الخصلتين، وذلك كله طلباً لرضى الله سبحانه وتعالى، الذي يسعى إلى لقائه، فيقول^(١):

| | |
|-------------------------------|---|
| إن يُمن الإمام لَمَّا أتانا | حلب الغيث من متون الغمام |
| فابتسام النَّبات في أثر الغيـ | ث بُنُوَّاره كسُرج الطَّلام |
| ملك من مخافة الله مُغض | وهو مُغض له من الإعظام |
| ألف الحج والجهاد فما يُـ | فك من سَقرتين في كلِّ عام |
| سفرُ الجهادِ نحو عدوِّ | والمطايا لسفرة الإحرام |
| طلب الله فهو يسعى إليه | بالمطايا والجياد السَّوام |
| فبدان يبدُّ بمكَّة تدعو | هُ وأخرى في دعوة الإسلام ^(٢) |

ومن العادات التي كانت سائدة عند قدوم الحجاج، إحضار الهدايا التي كانت تحمل دلالات اجتماعية ومعنوية في نفس المهدي إليه، ومن أشهر الهدايا التي يحملها الحاج معه، المساويك، والنعال، والعمود، وغيرها، فحينما يأتي المهدي لزيارة الحاج يُقدّم له هدية، تعبيراً عن الشكر بهذه الزيارة التي يقدم فيها التهنئة بحجّته، وعودته سالماً، ومنها ما كتبه الحمدوني إلى جارية اسمها برهان قد حجّ موالها طالباً المساويك هدية منها، فيقول:

| | |
|-------------------------------|-------------------------------------|
| حجوا مواليك يا برهان واعتمروا | وقد أتتك الهدايا من مواليك |
| فأطرفيني مما أطرفوك به | ولا تكن طرفتي غير المساويك |
| ولست أقبل إلا ما جلت به | ثبتك وما رددت في فيك ^(٣) |

() أشجع السلمي، الديوان، خليل بن بيان حسون، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص ٢٦١.

() السَّوام: الخيل وعليها فرسانها، مادة (سوم)، المعجم الوسيط.

() الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، ج ٥، ص ٣٦٠.

ويمكن أن تقدم الهدايا لأناس يراد منهم تحقيق غايات للمقدمين ، فقد ذكر أن أبا العتاهية كان يحج كل سنة، فإذا قدم أهدى للمأمون برداً، ومطرفاً، ونعلاً، ومساويك أراك، وقد جرت العادة أن يبعث إليه المأمون عشرين ألف درهم^(١)، فأهدى مرة له كما كان يهدي كل سنة إذا قدم، فلم يثبه ولا بعث إليه بالمكافأة، فكتب إليه أبو العتاهية أبياتاً يذكره فيها بهذه المكافأة، فيقول:

خَيْرُونِي أَنْ، مِنْ ضَرْبِ السَّنَةِ، جُوداً بِيضاً، وَحُمْراً حَسَنَةً
لَمْ أَكُنْ أَعَهْدُهَا، فِيمَا مَضَى، مِثْلَ مَا كُنْتُ أَرَى كُلَّ سَنَةٍ^(٢)

فكانت لهذه الأبيات وقعها عند المأمون، فأمر بحمل عشرين ألفاً، وقال: أغفلنا حتى ذكرنا، فقد اتخذ الشاعر الهدية كوسيلة للتكسب، والحصول على العطايا، حيث عدّها سنة من الخليفة، فكلما أهدى له شيئاً أهدى له بأحسن منه، ولمّا خالف السنة، ولم يثبه، بعث إليه هذه الأبيات يذكره.

ولم تقف الهدايا عند الشكل المادي وحده ، فهذا أبو نواس يجعل من تبادل أطراف الحديث هدية يقدمها، وذلك رفعا لقيمة الكلام المقدم، فيقول:

أَهْدِي لَهُ طَرْفَ الْحَدِيدِ ————— ثِ لَأَسْتَغِيدَ بِهَا كَلَامَهُ
لَا غَايَتِي مِنْهُ هَوِي ————— تَلَقَيْ مَغَبَّتَهُ نَدَامَهُ
إِنْ الْمَحَبَّةَ تَبِينُ نَظْرُ ————— رْتَهُ إِذَا نَظَرَ السَّلَامَةَ^(٣)

حرص الناس على تقديم التهنئة للحجاج وحاولوا المواظبة على أدائها ما لم يمنع مانع، ومما يدل على ذلك ما قدّمه رجل من الكتاب في تهنئة لأحدهم بالحج، معترفاً منه عن عدم زيارته، وتقديم كتابه ليسد مسدّه، فيقول: لولا أن عوائق أشغال يوجب العذر بها تفضلك ويبسطه احتمالك، لكنت مكان كتابي هذا مهنتاً لك بالأوبة، ومجدداً بك عهداً، ومحياً نفسي بالنظر إليك، وأنا أسأل الله أن يشكر سعيك، ويتقبل حجك...^(٤).

() عبد الرحيم العباسي، معاهد التصييص على شواهد التلخيص، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج ١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٢٩٠.

() أبو العتاهية، الديوان، ، ص (٤٠٥).

() أبو نواس، الديوان، أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت، ص ٥٠٥.

() ابن قتيبة، عيون الأخبار، المجلد الثالث، ص ٧٢، ٧٣.

الحج من المناسبات الدينية التي يُحتفل بها في العصر العباسي، وتقدم التهئة للحاج بما أنعم الله عليه في زيارة بيته الحرام، وتوريده حرمة سالماً، وإصداره عنه غانماً، ويتخذ القدوم مظاهر الفرح والسعادة كذلك العبارات والألفاظ الدالة على الغبطة والاستبشار بمقدمه، كما تأتي التهاني في كثير من الأحيان مقرونة بالدعاء، وشيء من الثناء، ومقرونة بهدية لما تحدثه في النفوس من المحبة، والمودة، والشعور بالسعادة، وإثراء روح التواصل بين أرجاء المجتمع.

- التهئة بالأعياد الإسلامية

الأعياد في الإسلام استثمار للمعاني الإنسانية وتجسيد للقيم الروحية، فقد شرعت الأعياد في الإسلام لحكم سامية، ولمقاصد عالية، فالعيد فرحة لشكر الإله على تمام نعمته، وفضله لأداء فريضة الصيام، أو الحج، وفرصة للفرح، ولتقوية الروابط الاجتماعية، ومناسبة للترويح عن النفس من هموم الحياة، ونشر للمودة والرحمة بين المسلمين.

وكانت المدن الإسلامية في عهد العباسيين تتخذ زينتها عند كل عيد، فنجد الأنوار تُضئ لياليها، و أصوات المسلمين تتجاوب بالتكبير والتهليل، وتزدحم الأنهار بالزوارق المزينة بأبهى الزينات، وتسطع في جوانبها أنوار القناديل، وتتألأ الأنوار الخاطفة للأبصار من قصور الخلفاء، وتعمّ خيرات الخلفاء إلى الناس، من تفرقة للكسوة، وصدقة الفطرة، وعمل السماط، كل ذلك احتفاء بالعيد^(١).

قدم الشعراء العباسيون من خلال هذين العيدين القادمين بالسعد، أجمل التهاني لممدوحهم، متمنين السعادة والصحة لهم، وعودتهما عليهم بأحسن الأحوال وأتمها، مقدمين صور مشرقة لهذه التهاني، كما نجد عند أشجع السلمي في تهنتته لأحمد بن يزيد بن أسيد السلمي بالعيد، ليقرن توالي العيدين بالسعد عليه، والصحة والنعمة، كما يشيد الشاعر بالممدوح، من خلال إشارته

الى ما يقوم به من خدمة للعباسيين، ليبقوا أركان عز لهم فيقول :

عيـدان لا زالا يعـودان عليـك بالسـعد يـدوران
في صحـة منـك وفي نـعمة تـدورُ ما دارَ الجـديـدان

() حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، الطبعة الثالثة عشرة، ج ٣، ص ٤٦١.

لو خيّرت قيس بن آدم كنت الرضا من ألف إنسان
يا ابن يزيد بن أسيد بكم تعظمت قيس بن عيلان
أنتم لملك العز من هاشم أركان عز أي أركان^(١)

أولاً: التهنة بعيد الفطر:

كما ألهم شهر رمضان الكريم نفوس الشعراء ووجدانهم بما يثير فيهم من سمو روعي وحب للخير والبر والتقوى، كذلك نجد أن عيد الفطر أنتج أدباً غزيراً وشعراً جديداً في أغراض لم تكن موجودة في الشعر العربي القديم، وأعني بذلك شعر التهاني والتبريكات الذي كان الشعراء يقدمونه إلى الخلفاء، والأصدقاء، والأهل والأحباب، هذا الشعر الذي يقترن بأفكار وقيم إسلامية وعادات اجتماعية، وكان عيد الفطر في المجتمع العباسي يرتدي أجمل زينته من خلال مظاهر الاحتفال به، لنجد الناس صبيحة العيد بملابسهم الجديدة، والخلفاء بأبهى زينتهم وبصحبتهم كبار رجال الدولة، فيقف العامة على جانبي الطريق لتحية الخليفة، وهو في طريقه إلى المسجد، وهم ينادون السلام على أمير المؤمنين، ونور الإسلام^(٢). لتثري هذه المظاهر الاحتفالية شعور المسلمين بأهمية العيد، وإبراز قيمته الدينية والروحية لديهم.

يمثل العيد مبعث سعادة وسرور، فيجد فيه الشعراء مناسبة لتقديم التهاني، فهذا ابن الرومي يقدم تهنة للمعتضد بقدم هذا الصاحب المودود، فيقابل الشاعر بين أعماله في رمضان من الصوم، والتعبّد، والنسك، إلى الفطر من الجود والكرم، مثنياً عليه بالدعاء بطول العمر له، وقصور عمر مبغضه، فيقول^(٣).

قديم الفطرُ صاحباً مودوداً ومضى الصومُ صاحباً محموداً
ذهبَ الصومُ وهو يحكيك نُسكاً وأتى الفطرُ وهو يحكيك جوداً
وشبهاك لا يخوناك العهُدُ دَ لعمري بل يرعيان العهدا
وستبقى عليهم ما ويعودا ن كما أنت مُشتته أن يعودا

() أشجع السلمي، الديوان، ص ٢٦٧.

() حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام، ج ٤، ص ٦٠٣.

() ابن الرومي، الديوان، ج ٢، ص ١٨٢.

غدت التهاني مكاناً لإظهار صفات الممدوحين ومحاسنهم، وخاصة إن كانوا من الخلفاء، وفرصة لإظهار أعمالهم، كما نجد عند البحري في تهنتته للمتوكل بعيد الفطر أثناء مسيره إلى دمشق، مستغلاً الشاعر هذا المسير في تقديم تهنئة لأهل الشام بمقدمه إليهم، موضحاً أفضاله في شهر رمضان ومحاسنه، فقد عصمه الله بتقواه وورعه، فلا قبح ولا لغو في كلامه، مقدماً سعياً صالحاً يبتغي ذخره، حتى غدا كأنه مضى عام من عيد الفطر إلى عيد الفطر محفولاً بالبركة والإيمان، فيقول:

هنيئاً لأهل الشام أنك سائرٌ إليهم مَسيرَ القطرِ يثبُعُهُ القطرُ
مضى الشهرُ محموداً ولو كان مُخبراً لأتسى بما أوليتَ أيامَهُ الشَّهرُ
عُصِمْتَ بتقوى الله والورع الذي لديك فلا لغوٌ أتيت ولا هُجرُ
وقدِّمْتَ سعياً صالحاً لك ذكره وكلُّ الذي قدِّمْتَ من صالحِ دُخرِ
وحالَ عليك الحَوْلُ بالفطرِ مُقبلاً فباليُمنِ والإيمانِ قابلكَ الفطرُ^(١)

إن الشعر الذي قيل في التهاني بعيد الفطر كثير ، لا يخلو من المبالغة في بعض الأحيان، كما نجد عند المتنبي يهنئ سيف الدولة بالصوم، والأعياد، والعصر لتصبح جميعها مشرقة بالممدوح، ويعم نوره كل شيء حتى الشمس والقمر، ويعلي من شأنه ممدوحه في جعل الدهر بوجوده روضة، وشمائله زهرها، ليزداد كرمه مع الأيام، فيقول^(٢):

الصومُ والفطرُ والأعيادُ والعُصْرُ مُنيرةٌ بكَ حتى الشمسُ والقمرُ^(٣)
ثري الأهلّةُ وجهاً عمّ نائلُهُ فما يُخصُّ به من دُونِها البشرُ
ما الدهرُ عندك إلا روضةٌ تُنفُ يا مَنْ شمائلُهُ في دهره زهرُ
ما ينتهي لك في أيامه كرمٌ فلا انتهى لك في أعوامه عُمرُ

تلبس صور التهنة ثوباً زاهياً، ملؤه البشري والسرور، فهذا الثعاليبي يقدم تهنة بعيد الفطر، فيجعل هلال العيد أماً لممدوحه يحاكي نوره، ويشاطره السعود، ويقدم البشري بهذا العيد

() البحري، الديوان، ج ١، ص ٤٩٤.

() المتنبي، الديوان ، ج ٢، ص ٧٥٥-٧٥٦.

() العصر: الدهر.

المزهر، فهي تهنئة لصاحب المكانة العالية، وصاحب الفضل، فقد قدم العيد بأسعد طالع، وأكمل إقبال، فيقول:

أخوك هلال العيد عادت سعوده
فأفطر على دهر بعينك ناظر
وعيّدت يا من للمعالي قيامه
بأيمن إهلال وأسعد طالع
يحاكيك منه نوره وصعوده
وابشر بعيد مورق لك عوده
ولفضل والإفضال فينا قعوده
وأكمل إقبال يليه خلوده^(١)

تأخذ التهاني بهذه المناسبة شيئاً من المعاني التقليدية، من تمنى السعادة والسرور، ودوام البهجة والسؤدد، والتمتع بإقبال الأيام وإدبارها، مع بقاء العافية، ودوام السلامة، فهي معاني ركزت عليها كثير من قصائد التهنة بهذه المناسبات، فما هو أبو إسحاق الصابي يقدم صوراً ملؤها السعادة بتهنئة للعيد، ليصبح الزمان بأنس ممدوحة ربيعاً مشرقاً ليس في أيام الأعياد وحدها، وإنما في كل الأيام، التي أصبحت أعياداً بوجوده، حتى أوشك العيد الحقيقي أن يضيع بينها فيقول: ^(٢)

يا سيدياً أضحى الزمما
أيام دهرك لم تزل
حتى لأوشك بينهما
ن بأنسه منه ربيعا
للناس أعياداً جميعا
عيد الحقيقة أن يضيعا

وفي موقع آخر، يهنئ أبو إسحاق الصابي الوزير المهلي، بما أنعم عليه بعيد الفطر، وبما وقى من مصاب الدهر، ليمضي الصوم وقد وقاه حق عبادته وطاعته التي سيثاب بأجر عليها، من قراءة القرآن، وصلاة، وتهجد، فيصبح الفطر رسم للسرور، ويصبح الممدوح خير من يحيى هذه السنة، فيقول:

أسيدنا هُنَّتْ نَعْمَاكَ بِالْفَطْرِ
مضى الصومُ قد وقَّيته حقَّ نسكه
هجرت هجودَ الليل فيه تهجداً
ووقَّيتَ ما تخشاه من ثوبِ الدهر
ووقاك مكتوب المثوبة والأجر
وصبراً على طول القراءة للفجر

() الثعالبي، خاص الخاص، شرح مأمون بن محي الدين الجنان، ص(٢٧٢).

() النويري، نهاية الأرب في فنوب الأدب، تحقيق: يحيى الشامي، الطبعة الأولى، ج ٤-٥، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٤م، ص(١٣٣).

والفطر رسمٌ للسرور وسنةٌ ومثلك من أحيانا سنة الفطر^(١)
 كما يظهر في هذه التهاني التي تقدم في عيد الفطر، وصف لمحاسن شهر رمضان،
 ومثابرة ممدوحهم في نيل أجره، ومنها قول الشريف المرتضى يهنئ جلال الدولة بالفطر، بعد
 انقضاء شهر الصيام تاركاً كل ما يعيبه، من قبح، أو آثام، أو حرام، ليأتي العيد مبشراً له بما
 قدّمه من أمور عظيمة، لينعم بالقرار، والسرور، والثبات فيقول:

قد مضى شهرُ الصيام عارياً من كُـلِّ ذام
 صُـمَّتْ عن كُـلِّ قبـحٍ وأثامٍ وحرام
 لا كقـومٍ عن شـرابٍ صـومهم أو عن طعام
 وأتى العيدُ بشيراً بالتحيات الجسام
 وئـزوج عن حـذارٍ وبلـوغ لمـرام
 وقـرار وسـرور وثبـاتٍ ودوام^(٢)

يجد الشعراء العيد مناسبة ينتهزونها للتقرب إلى الخلفاء والأمراء، يهنئونهم بمقدمه إليهم،
 كما نجد عند الشاعر أشجع السلمي مهناً الرشيد بالعيد، وداعياً إلى استقباله بعمر جديد، ليصعد
 درجات العلا ونجمه مقروناً بأجمل السعود، ومتجدداً، وأيامه مليئة بالغبطة والسرور مع قدوم
 كل عيد، فيقول:

استقبل العيدَ بعمرٍ جديدٍ مدتْ لك الأيامُ حبلَ الخلودِ
 مصعداً في درجاتِ العلا نجمك مقرونٌ بسعدِ السعودِ
 واطورِ داءِ الشمسِ ما اطلعتِ نوراً جديداً كلَّ يومٍ جديدِ
 تمضي لك الأيامُ ذا غبطةٍ إذا أتى عيدٌ طوى عمرَ عيدِ^(٣)

() (الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ج/٢، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ص(٣٢٨).

() (الشريف المرتضى، الديوان، تحقيق: رشيد الصّغار، الطبعة الثانية، القسم الثاني، بيروت/لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص(٤٦٠).

() (أشجع السلمي، الديوان، ص(٢٠٣).

وهناك من الشعراء من يرى بأن فرحة العيد في اللهو والمتعة بعد انقضاء شهر الصيام، واصفين مظاهر هذه المتعة وصفا ينم عن ضعف الوازع الديني عند الشاعر والممدوح، فيغدو المدح ذمًا، فهذا هو الشاعر كشاجم يهنئ أحمد بن طارق بالعيد ، بعد صيامه على الحق وإفطاره على الفطرة، وبما أحرزه من أجر، ليهدي العيد إلى قلبه كل ما يسره، منتقلا إلى وصف مظاهر اللهو والمتعة بعد انقضاء الصيام، ووصفه للقيان والخمر، وتشوقه إليهما، فالقينة غدت كالبدنر، ينتشوقون لسماعها غداة العيد، والخمرة أصبحت بين الحمرة والصفرة متعطشين إليها بعد امتناعهم عنها شهراً كاملاً^(١)، فيقول:

| | |
|---------------------------------|--|
| لَقَدْ صُـمِّتَ عَلَى الْحَقِّ | وَأَفْطَرْتَ عَلَى الْفِطْرِ |
| وَأَحْرَزْتَ بَعُونَ اللَّيْلِ | هـ أَجْرَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةَ |
| فَأَهْدِي الْعَيْدُ بِالسَّعْدِ | إِلَى قَلْبِكَ مَا سَرَّةَ |
| فَأَمَّا بَعْدُ يَا غِيثُ | نَدَى مَطْرُئُهُ الْحَبْرَةَ ^(٢) |
| فَعِنْدِي قَيْنَةٌ كَالْبَدْرِ | رَقْدٌ جَدْرُئُهَا ^(٣) بَنْدَرَةٌ |
| وَقَائِنَا فِي غَدَاةِ الْعِي | دِ كُنُونِي عِنْدَنَا بَكْرَةَ |
| وَلَا يَدْفَعُ مَا خَامَ | رَ مَنْ هَمَّ سِوَى الْخَمْرِ |
| مُدَامَ نُورُهُ نَائِورًا | نَ بِالْحُمْرَةِ وَالصُّفْرَةَ |
| وَهَلْ تُرَوَى أَمْرًا أَعْطَى | شَ شَهْرًا كَامِلًا سَكْرَةَ |

وهذا الشاعر علي بن جبلة يرى في تهنئة لحميد الطوسي بعد انقضاء شهر الصيام، بأنها فرصة لشرب الراح، وترك قول العاذلين، وذلك للتمتع بالعيش قبل أن تقجعه المنية، ولتذهب شربته ما به من طوارق الأحزان، بعد أن أتاه شوال وذهب رمضان، فيرى الشاعر بأن سماع القيان والعيان هما العون على مصائب الدهر، فيقول:

* أحمد بن طارق: لم أعثر على ترجمة له.

() كشاجم، الديوان، تحقيق: عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ص(١٧٤-١٧٥).

() الحبره: النعمة والسرور، مادة(حَبْرَ)، المعجم الوسيط.

() جَدْرَ: ظهر وبرز، مادة(جَدْرَ)، المعجم الوسيط.

علاني بصفو ما في الدنان
 واسبقا فاجع المنية بالعي
 علاني بشربة تذهب اله
 وانثا في مسامع سدها الصو
 قد اتانا شوال فاقتبل العي
 نعم عون الفتى على نوب الده
 واتركا ما يقوله العاذلان
 ش فكل على الجديدين فاني
 م وتنفى طوارق الأحزان
 م رقى الموصلي أو دهمان
 ش وأعدى قسراً على رمضان
 ر سماع القيان والعيان^(١)

كما يهنئ ابن المعتز أحد أصدقائه، بلغة رقيقة، بعيدة عن التكلف، حتى لتكاد تشبه لغة
 التخاطب العادية^(٢)، ليهنئه بالفطر وما فيه من متاع من الخمر والحانات، والكروم، وسماع
 صوت الناي، والطرب، والتقبيل، والمأكولات كالحلوى التي ليس له عنها صبر، فيقول^(٣):

هنياً لكم الفطر
 وظل الكرم والجأ
 وضجّات من القصف
 وتجميش وتقبي
 وأصناف من الحلوا
 وحانت الكأس والسكر
 والأشجار والزهر
 ونفخ الناي والتقر
 لمن جاذبه الخصر^(٤)
 ما عن مثلها صبر

نظر بعض الأدباء الى التهاني بالاعیاد بشئ من العادة، يهتمون بأدائها ، ولا يمنعهم
 شيء عن أدائها إلا إذا كان عسيراً، لما لها من مكانة قصوى في النفوس، ففي إحدى الرسائل
 التي كتبها ابن المعتز إلى صديقه الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب تدور حول الاعتذار إلى
 الوزير عن العلة التي أحرّت ابن المعتز عن الحضور للتهنئة، يقول:

(أخرتني العلة عن الوزير - أعزه الله - فحضرت بالدعاء في كتابي لينوب عني، ويعمر
 ما أخلته العوائق مني، وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد السالفة بركة على

() علي بن جبلة، الديوان، تحقيق: زكي ذاکر العاني، مطبعة دار الساعة، ت.د، ص(٦٩).

() انظر حسن درويش، الشعراء المحدثون في العصر العباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٩٨٩م،
 ص(٢٨٤).

() ابن المعتز، الديوان، يوسف شكري فرحات، ص(٣٨٠-٣٨١).

() تجميش: مغازلة المرأة، مادة(جَمَش).

الوزير^(١)، فالعلة أحرّت الكاتب عن حضور مجلس الوزير للمشاركة، فجاء كتابه لينوب عنه، ويقوم مقام صاحبه، ففيها تخلص من أزمة الموقف^(٢)، لتتم هذه الرسالة عن أهمية تقديم التهاني في هذه الأعياد.

فقد خص الله سبحانه وتعالى شهر رمضان بالصيام، ووعد عباده المؤمنين بالرحمة والمغفرة والقبول، فهي فرصة لتبادل التهاني بدرك المأمول، لما لها من راحة النفوس بقضاء المباح من لذاتها وأوطارها، وإخراج للناس من ضيقة إلى سعة الفطر المريح، لما أجهده من الأعمال والأبدان، فيقول أبو إسحاق الصابي في تهنئة لأحدهم بعيد الفطر، أن يسعد بالصوم الذي قدّم حقه، وأوفاه كاملاً، متعبداً مخلصاً، مقدماً يد الجود والكرم في هذا الشهر، وحافظاً فاه عن كل قبيح وفاحش، ليهنئ بهذا العيد، ويستقبل فيه لذيق العيش، فيقول:

يا ماجداً يده بالجود مفطرة وفوه عن كل هجر صائم أبدا
أسعد بصومك إذ قضيت واجبه نسكاً ووفيته من شهره العددا
واسحب من العيد أذياً له جدداً واستقبل العيش في إخطاره رغداً^(٣)

والشعراء يتخذون من الأعياد مناسبات لتقديم الولاء والطاعة للحاكم، ويهنئونه بالعيد الذي جاء وهو بأحسن حال وعافية، ليغدو العيد مناسبة لتجديد العهد، والانقياد للخلافة الإسلامية، حيث تتواصل بها الخلافة مع الشعب، كما يتواصل الأفراد والجماعات، فيصل كل منهما الآخر، ويصبح العيد مصدراً لدوام الترابط والوصال، كما يصفه أحدهم بقوله:

اللبس النعماء ما أو ماض بـرق في غمام^(٤)
واصلاً عيداً بعيدي ودواماً بـداً بدوام^(٥)

() محمد عبد المنعم خفاجي، رسائل ابن المعتز، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى الباي، القاهرة، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م، ص(٥٥-٥٦).

() انظر محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، الطبعة الأولى، ص(٢٢٦-٢٢٧).

() الثعالبي، خاص الخاص، شرح مأمون بن محي الدين الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلميّة، بيروت/لبنان، ١٩٩٤م، ص(٢٠٩).

() ومَضَّ: لمع البرق.

() الأصفهاني، محاضرات الأدباء، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، المجلد الثاني، ص(٨٧).

وقد يبالغ الشعراء في تقديم التهاني بهذه المناسبات، كما يرى محمد أبو الأنوار بأن المبالغة الشديدة، والتهويل الزائد سمة ظهرت في العصر العباسي في الشعر والكتابة، وبدأت لها أثر في الحياة الاجتماعية، والسياسية^(١)، ومن صور المبالغات ما قاله أبو بكر الخالدي في تهنئة بالعيد، حيث يصور ممدوحه بأنه عيد للعيد نفسه، وجمال وجهه يفوق جمال هلال العيد، فيقول:

هنيئاً مريئاً بأجر أقام وصومٌ ترحَّلَ عنك ارتحالا
رأى العيدُ وجهك عيداً له وإن كان زاد عليه جمالا
وكبَّر حين رآك الهلالُ كفعلك حين رأيت الهلالا
رأى منك ما منهُ أبصرته هلالاً أضاءَ ووجهاً تلالا^(٢)

صور شعر التهاني بعيد الفطر بشيء من البهجة والغبطة بعد انقضاء شهر رمضان، حيث ركز فيه الشعراء على بيان أفعال ممدوحهم بهذا الشهر من العبادة والجود والكرم الذي قدموه طلباً للخير، وتقرباً لله سبحانه وتعالى، مقرنين التهاني بصفات الممدوحين ومحاسنهم، والأعمال التي تميزهم، وتعلي من شأنهم، فنجد أن التهاني تقترن إلى حد كبير بالقيم الإسلامية والعادات الاجتماعية، كما يجعل الشعراء كثير من هذه التهاني فرصة لشكر الله على تمام نعمته وفضله في إنهاء الصيام بالإضافة إلى أنها مجال للترويح عن النفس، وإن كانت تظهر في بعض الأحيان ضعف الوازع الديني في كيفية استقبال العيد بشيء من اللهو المفرط، كما تأخذ التهاني في كثير من الأحيان معاني تقليدية، كتمني السعادة، والسرور للممدوحين، والدعاء لهم، والتمتع بإقبال العمر وإدبارها، مع بقاء العافية.

التهنئة بعيد الأضحى:

إن لارتباط الأعياد بأداء الفرائض معاني سامية، وذلك ربط فرحة العيد بالتوفيق في أداء الفرائض، لذلك فإن العيد يعدّ من شعائر العبادة في الإسلام، لهذا حظي عيد الأضحى باهتمام الأدباء، فقد عني بعض شعراء العصر العباسي بإزاء التهاني في هذه المناسبة السعيدة مقدمين

() محمد أبو الأنوار، نهضة الشعر العباسي وتطوره، مكتبة الشباب، ص(٣٨).

() أبو بكر الخالدي، ديوان الخالدين، تحقيق: سامي الذهان، دار صادر، بيروت/لبنان، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص(٨٠).

التهاني لمدوحهم بعيدهم، ومتجدد أيامهم، تهنئة تنظم السعادات وتتضمن الخيرات، آخذين بأكمل الحظوظ، وأوفر السعود.

يزف الشعراء التهاني بالعيد، مزينين مدوحهم بأحسن الأحوال وأرغدها، كما في تهنئة المتنبي لسيف الدولة بعيد الأضحى، مقدماً معنى جديداً لتهنئته في جعل ممدوحه عيداً للعيد، يحل محله في القلوب، مرتدياً الأعياد المتكررة، فما يمضي عيداً إلا وأتاه عيد آخر، ويغدو هذا العيد كحال سيف الدولة بين الناس، فيقول:

هنيئاً لك العيد الذي أنت عيدُهُ وعيدٌ لمن سمى وضحى وعيدا
ولا زالت الأعياد لبسك بعده تُسلمُ مخروقاً وتُعطى مُجدداً
فذا اليوم في الأيام مثلك في الورى كما كنت فيهم أو حدا كان أو حدا
هو الجد حتى تفضل العين أختها وحتى يكون اليوم لليوم سيدياً^(١)

وتشمل التهاني بعيد الأضحى صوراً تتناسب وطبيعة هذه المناسبة، ومنها ما قدمه أبو إسحاق الصابي في تهنئة بالأضحى، يدعو بها على أعداء ممدوحه الذي يتمنى رؤيتهم كحال الأضاحي التي تُذبح في هذا العيد، فيقول:

مرجيك وصايبكا بهذا الأضحى يهنيك
وقد أوجز إذ قال مقالاً وهو يكفيك
أراني الله أعدا ك في حال أضاحيك^(٢)

وإذا ما صادف العيد مناسبة أخرى، يقرن الشعراء تهنئاتهم بالمناسبتين مبرزين ملامح هذه الأعياد، فهذا ابن الرومي يجد في اقتران الأضحى والمهرجان^(٣) تهنئة للمعتمد، مظهراً طبيعة كل عيد، فالأضحى عيد نسك وإيمان، والمهرجان عيد لهو ومرح، وقد ألف المعتمد هذين العيدين من خلال أفعاله الحسنة التي قام بها، ولا ينسى الشاعر هنا، كحال كثير من الشعراء في بيان صفات ممدوحه، في الفضل، والقيادة، والعز، والشرف، والعلم، فيقول:

() المتنبي، الديوان، تحقيق، ج/٢، ص(٧٦٠).

() الثعالبي، خاص الخاص، شرح مأمون بن محي الدين الجنان، ص(٢٠٩).

() المهرجان: من الأعياد الفارسية، يطلق في العربية على كل احتفال أو اجتماع كبير.

عيـدان: أضـحى ومهـرجانُ
أعيـدُ تُسكـ وعيـدُ لهـو
ألف شـكـليهما إمـامُ
مُعتمـدُ لـم يـزلُ عميـداً
فـي كل أرض وـكل قـوم
جـرى فـفاق المـلوك سـبقاً
نالـت يـداهُ ذُرى مـعالِ
مما ضمـم مثـليهما أو انُ
تجـاورا، أبـدعَ الزمـانُ؟
أفعالـه فيهما حـسانُ
ينطبـقُ عـن فضـلـه البيـانُ
يُثنـي بالائـسـه لـسانُ
فلـيس قـدامـه عـنانُ
يعجـزُ عـن نيلـها العيـانُ^(١)

وتغدو التهاني مناسبة للإشادة بصفات الممدوح وذكر محاسنه، فهذا مهيار الديلمي يمدح
الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم ويهنئه بعيد النحر، معلياً من شأنه في جعله صاحب المكانة
العالية، الذي لا يلحق بمجده، فيقول:

يروم ابنـ عبد الرحيم الرجالُ
ويرجون ما نالـه والكـعو
ولما وُزنت بأحـسابهم
رجحت وشالت موازينهم
ولا يلحق الرـدْفُ بالكاهـل
بـ منحدراتٍ عـن العـامل
وأحلامهم زنة العـادل
فتاقل بمجدك أو طـاول^(٢)

يعلى الشعراء مكانة الممدوحين، جاعلين العيد الذي قدم عليهم كحال أيامهم جميعها، كلها أعياد،
كما نجد عند مهيار الديلمي الذي يهنئ الصاحب أبا القاسم بن عبد الرحيم بعيد النحر، مشيراً إلى
أن أيامه أصبحت أعياداً، داعياً إلى أخذ نصيبه الديني والدنيوي منه، ليكون مذكور الأجر،
فيقول^(٣):

فـي كل يـوم لك عيـدٌ، فـما
وخذ من الأضحى بسهميك من
يغرب في عينيـك عيـدٌ أتـى
حظـين في آخرـة أو دُنـى^(٤)

() ابن الرومي، الديوان، ج/٥، ص(١٩٥).

() مهيار الديلمي، الديوان، روائع التراث العربي، الطبعة الأولى، ج/٣، دار الكتب المعرفية، ص(٦٥).

() المصدر السابق، ج/١، ص(٥).

() دُنَى: جمع دنيا.

أَجْرَكَ مَذْخُورٌ لَهَا ذَاكَ وَالْـ نَيْرُوزٌ مَوْفُورٌ عَلَى حَفْظِ ذَا
وِيرَى الشَّرِيفِ الْمَرْتَضَى فِي تَهْنِئَتِهِ أَبِيهِ بِالْعِيدِ، مَنَاسِبَةٌ سَعِيدَةٌ تَجْلِي النَّفْسَ مِنْ هُمُومِهَا، لَتَبْدُو لَهُ
فِي غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ بِهَذَا الْيَوْمِ الَّذِي تَمَّحِيَ فِيهِ الذَّنُوبُ، وَتَدْفَعُ، كَدْفَعِ أَمْطَارِ السَّمَاءِ لَزَبْدِ الْمَاءِ
الْغَثَاءِ، لِيَسْعُدَ بِهَذَا الْعِزِّ وَالْمَجْدِ، وَيَسْلَمَ مِنْ مَصَائِبِ الدَّهْرِ، فَيَقُولُ^(١):

وَلِيُهْنِيكَ الْعِيدُ الَّذِي عَزَبَتْ عَنْهُ الْهَمُومُ وَأَطْبِقَ الْجَذْلُ
يَوْمٌ تَطْيِیحُ بِهِ الدَّنُوبُ كَمَا دَفَعَ الْغَثَاءَ الْعَارِضُ الْهَطْلُ^(٢)
فَاسْعُدْ بِهِ فَالْعِزُّ مُؤْتَنَفٌ بِقُدُومِهِ وَالْمَجْدُ مُقْتَبِلٌ
وَاسْلَمْ عَلَى نُوبِ الزَّمَانِ وَإِنْ شَقِيتَ بِهَا الْأَمْلاكُ وَالذُّوْلُ
عَنِ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ بِإِزْجَاءِ التَّهْنِائِيِّ بِهَذِهِ الْمَنَاسِبَةِ السَّعِيدَةِ، كَمَا نَجَدُ عِنْدَ الصَّنُوبَرِيِّ فِي تَهْنِئَتِهِ
لَأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أَخِي الْإِمَامِ بِالْعِيدِ، مَصُورٌ هَذِهِ النِّعْمَةَ الْمُتَجَدِّدَةَ عَلَى مَمْدُوحِهِ، الَّتِي طَلَعَتْ
عَلَيْهِ بِأَيْمَنِ طَالِعٍ، لِيَعِيشَ صَاحِبُ بِنَاءٍ لِلْمَجْدِ وَالْجُودِ، فَيَقُولُ:

تَسْرِيلُ عِيدِ اللَّهِ سَرِبَالِ نِعْمَةٍ مُجَدِّدَةٍ تَبْلَى بِهَا جِدَّةُ الدَّهْرِ^(٣)
وَعِشْ لِبِنَاءِ الْجُودِ وَالْمَجْدِ آخِذًا بِهَذَا وَهَذَا مَأْخِذَ الشَّمْسِ وَالْبَدْرِ
طَلَعَتْ عَلَى الْأَضْحَى بِأَيْمَنِ طَالِعٍ فَضَحَّى الْغَنَى فِي وَقْتِ ضَحِيَّتِ الْفَقْرِ^(٤)
كَمَا تَحْمَلُ التَّهْنِائِيُّ بَعِيدَ الْأَضْحَى مَعَانِي جَدِيدَةً فِي الشُّعْرِ الْعَبَّاسِيِّ، فِي جَعْلِ مَبْغُضِي الْمَمْدُوحِ
وَأَعْدَائِهِ أَضْحَى تَقْدِمَ، كَمَا نَجَدُ ذَلِكَ عِنْدَ أَبِي إِسْحَاقِ الصَّابِيِّ فِي تَهْنِئَتِهِ لِأَحَدِهِمْ بَعِيدِ
الْأَضْحَى، مَتَأَثِّرًا بِاسْلُوبِ الْقُرْآنِ بِقَوْلِهِ (صَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)^(٥) جَاعِلًا مَبْغُضَهُ
أَبْتَرًا وَأَضْحَاهُ مِنَ الْمُلُوكِ الْأَسْيَادِ، ذَوِي الْمَكَانَةِ الْعَالِيَةِ، فَيَقُولُ^(٦):

() الشَّريفُ الْمَرْتَضَى، الدِّيْوَانُ، تَحْقِيقُ: رَشِيدُ الصَّقَّارِ، الطَّبْعَةُ الثَّانِيَّةُ، الْقِسْمُ الثَّانِي، بَيْرُوتُ/لُبْنَانُ،
١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص (٢٤٢).

() الْغَثَاءُ: مَا يَعْطُو السَّيْلَ مِنْ زَبْدٍ.

() سَرَبِيلٌ: لَبِيسٌ.

() الصَّنُوبَرِيُّ، الدِّيْوَانُ، ص (١٧).

() سُورَةُ الْكُوْثِرِ، الْآيَةُ: ٢-٣.

() الثَّعَالِبِيُّ، يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ، تَحْقِيقُ: مَفِيدُ مُحَمَّدٍ قَمِيحَةٌ، ج/٢، ص (٣٣٠).

صلّ إذا علا لربك وانحر
كل خير وشانئ لك أبتـر^(١)
أنت أعلى من أن تكون أضاحي
ك قروماً من الجمال تعقر
بل قروماً من الملوك ذوي السؤ
دد تيجانها أمامك تتثر
كلما خرّ ساجداً لك رأسٌ
منهم قال سيفك الله أكبر

وفي موقع آخر، يمدح أبو إسحاق الصائبي صمصام الدولة البويهية، الذي غدا كالبدر في وسط الدياجي، وإشراق الشمس في الصباح، يجمع بين الحرب والبأس، والسماحة، ليصل إلى تهنته بالنحر الذي وفاه بالسعد، وجعل أعادي بني بويه في جملة أضاحيه، فيقول:

يا سنة البدر في الدياجي
وغرة الشمس في الصباح
صمصام حرب وغيث سلم
ناهيك في البأس والسماح
اسعد بظفر مضى وأضحى
وفاك باليمن والنجاح
وانحر أعادي بني بويه
بالسيف في جملة الأضاحي
فالكل منهم ذوو قرون
يصلح للذبح والنطاح^(٢)

ومن المظاهر التي كانت سائدة في العصر العباسي في هذه الأعياد الإسلامية تقديم الهدايا، حيث كانت هذه الهدايا تقدم لأغراض وغايات، فقد تكون تعبيراً عن المحبة والتقدير لمن تهدي إليه، أو وسيلة لإظهار الطاعة للخلافة، أو لتحقيق أغراض خاصة لمقدمها.

وقد تنوعت الهدايا التي تقدم بهذه المناسبة، فوجدناها قد اتخذت أشكالاً عدة، حتى لقد وصلت أحياناً إلى حد المغالاة، كما نجد عند الحلاج الذي يشير إلى تقديم الهدية في عيد الأضحى، إذ يظهر الشاعر متأثراً بمعتقد الصوفي ليهدي مهجته ودمه لله عز وجل بهذه المناسبة، بدلاً من الشاء والنعم التي تقدم قرباناً لله عز وجل في الأضحى، فيقول:

إن الحبيب الذي يرضيه سفك دمي
دمي حلال له في الجلل والحرم
إن كان سفك دمي أقصى مرادكم
فلا عدت نظرة منكم بسفك دمي
والله لو علمت بروحي بمن عقلت
قامت على رأسها فضلاً عن القدم

() الشانئ: المبعوض، مادة(شئنا)، أبتـر: مقطوع، أو من لا ولد له، مادة(بتـر).

() الثعالبي، يتيمة الدهر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، ج/٢، ص(٣٣٠).

يطوف بالبيت قوم لا بجارحة
ضحى الحبيب بنفس يوم عيدهم
بالله طافوا فأغناهم عن الحرم
والناس ضحوا بمثل الشاء والنعم
للتاس حج ولي حج إلى سكني
ثهدى الأضاحي وأهدي مهجتي ودمي^(١)

كما تقدم العطور هدية في هذه الأعياد، فهي تحمل الروائح الزكية، ومنها قول صاحب
ابن عباد الذي أرسل عطرًا للقاضي عبد العزيز الجرجاني، فيقول :

يا ايها القاضي الذي نفسي له
أهديتُ عطرًا مثل طيب ثنائه
مع قُرب عهد لقائه مشتاقه
فكأنما أهدي له أخلاقه^(٢)

يبين الشاعر مدى الاشتياق والحنين للقاضي على الرغم أنه لم يطل غيابه عنه، فقد قدم
القاضي له طيباً، مثل طيب ثنائه، وأخلاقه العذبة، فكلاهما صاحب رائحة طيبة وزكية.

وهذا أحمد بن يوسف^(٣) يقدم هدية عينية إلى المأمون في يوم عيد، وكتب إليه: هذا يوم
جرت فيه العادة، بإهداء العبيد للسادة، وقد أهديت لأمير المؤمنين قليلاً من كثير، فيقول:

أهدى إلى سيده العبد
وإنما أهدي له ماله
ماناله الإمكان والجهد
يبرأ هذاً ولذاً رذ^(٤)

كما يقدم الشعراء العطور هدية في هذه المناسبة، ومنها ما قدمه صاحب بن عباد إلى
أبي هاشم العلوي، يهدي إليه عطرًا في طبق فضة في يوم أضحي، داعياً ممدوحه إلى قبول هذه
الهدية التي تشبه رائحتها أخلاق الممدوح، فيقول:

العيد زارك نازلاً برواقك
فأقبل من الطيب الذي أهديته
يستتبط الإشراق من أشراقك
ما يسرق العطار من أخلاقك
وأضرفُ يوجب أخذه مع ظرفه
فأضف به طبقاً إلى أطباقك^(٥)

() الحلاج، أبو المغيث، الحسين بن منصور البضاوي، الديوان، كامل الشيبني، الطبعة الثانية، بغداد،
١٤٠٤هـ/١٩٨٤م، ص(١١٩).

() صاحب بن عباد، الديوان، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت/لبنان،
١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص(٢٥٣).

() أحمد بن يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب القفطي، من أهل الكوفة، كان يتولى ديوان الرسائل للمأمون،
وكان أحد وزرائه، ت(٢١٣هـ)، انظر الأصفهاني، الأغاني، مجلد/٢٢، ص ٥٦٥.

() ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج/٢، ص(٥٦٨)، وانظر سامي عابدين في الأدب العباسي(قصر المأمون
وأثره على العصر)، الطبعة الأولى، دار النهضة العربيّة، بيروت/لبنان، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ص(١٧٣).

() صاحب بن عباد، الديوان، ص(٢٥٩).

التهنئة بالأعياد غير الإسلامية

أولاً: التهنئة بالأعياد الفارسية

ارتبطت الأمة الفارسية بأوثق الروابط وأقوى الصلات بالأمة العربيّة، وتبادلت المنافع، والتجارة، وقامت بينهم الحروب، والعلاقات السياسية، فأثر الفرس في العرب وتأثروا بهم، وهذه الصلات بين الفرس والعرب قديمة، ترجع إلى زمن قديم سابق على الإسلام، وذلك بسبب الجوار بين البلاد العربيّة والفارسية، والاختلاط والتبادل، والمشاركة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية بين شعوبها، مما أدى ذلك إلى الترابط والتعاون بين الأمم، ودفع الشعوب إلى التأثر بعضها في بعض، سواء في آدابها، أو ثقافتها، أو في تقاليدها وعاداتها^(١).

ومن أهم الأعياد الفارسية التي أصبحت موضع احتفاء عند العرب:

أولاً: عيد النيروز:

نوروز كلمة فارسية، مركبة من لفظين: أولهما نو أي الجديد وثانيهما روز أي اليوم، إذن فكلمة نوروز في اللغة تأتي بمعنى اليوم الجديد، أما في الاصطلاح، فتطلق على عيد رأس السنة الفارسية الذي يقع في اليوم الأول من فصل الربيع^(٢).

وقيل: إن أول من اتخذ نوروز هو (جم شاد): أحد ملوك الطبقة الثانية من الفرس، وإن سبب اتخاذهم لهذا اليوم عيداً، أن الدين كان قد فسد قبله، فلما ملك جده وأظهره، فسمى اليوم الذي ملك فيه نوروز، أي اليوم الجديد^(٣).

عيد النيروز من المظاهر التي تأثر بها العرب بالفرس، فقد سرت هذه العادات والتقاليد في العهود الإسلامية، وأثرت في المجتمع الإسلامي، وشارك الخلفاء رعاياهم في الاحتفاء بالأعياد الفارسية، كما أعجب خلفاء بني أمية بهذا التقليد، ووجدوا فيه فرصة سانحة لأن تكون الهدايا التي تقدم في أيام النيروز مورداً آخر من موارد الدولة، لذلك فرض الخلفاء الأمويون

() انظر فؤاد عبد المعطي الصياد، النوروز وأثره في الأدب العربي، جامعة بيروت العربيّة، ١٩٧٢م، ص(٥-٦).

() المرجع السابق، ص(١٣).

() سيد صادق عبد الفتاح، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص(٢٧٣).

على الرعايا تقديم الهدايا في هذا اليوم، حتى جاء العباسيون، فبلغت الدولة العربيّة على أيديهم أوج ازدهارها، بسبب ما توفر لها من حضارة مادية، وما أقدمت عليه من نقل التراث الأجنبي إلى العربي، والوقوف على تقاليد البلاد المفتوحة ومعرفة عاداتها^(١).

لقى عيد النيروز استقبلاً كبيراً في العصر العباسي، وكان له مظاهر الفرح والبهجة، ومن ذلك ما كان يقوم به الخليفة المتوكل من جمع للمهرجين، وأهل السماجات، فيلبسون الأقنعة، ويظهرون بين يديه، فينثر عليهم الدراهم، فيقربون منه ويتزاحمون لجمعها، كما كانت عادة العوام في هذا العيد أن يرشوا بعضهم بالماء الملون، كما أن في بعض الأقاليم كانوا ينتخبون رجلاً يسمونه أمير النيروز. ليظهر بمظهر مختلف، فقد كان يطلّى وجهه بالدفق، أو يركب حماراً ويجوب بالشوارع^(٢).

وقيل: إن أول من افتتح المكاتبه في التهنئة بالنيروز والمهرجان، أحمد بن يوسف، أهدى إلى المأمون سفت ذهب، فيه قطعة عود هندي في طوله وعرضه، وكتب معها هذا اليوم جرت فيه العادة بالطاق العبيد السادة، وقد قال:

على العبدِ حقٌّ لا شك فاعله وإن عظم الموالى وجلت فضائله
ألم ترنا تُهدى إلى الله مالهُ وإن كان عنه ذا غنى فهو قابلهُ
ولو كان يهدي للجليل بقدره لقصر علُّ البحر عنك وناهلهُ
ولكننا تُهدى إلى من تجلّه وإن لم يكن في وسعنا ما يُشاكلهُ^(٣)

يبين الشاعر ضرورة تقديم التهنئة والهدية في مثل هذه المناسبة، وكأنه حق تقدمه الرعية إلى الخلفاء والسادة، ويعلي الشاعر من منزلة ممدوحه وذلك بتقصير الهدية عن مكانته، وهنا يشير إلى ضرورة تقديم الهدايا وكأنها سنة، حتى إن لم تكن ترقى إلى مستوى المهدي إليه، وهذه فكرة جديدة في التهنئة والهدايا وذلك بوجوب تقديمها في المناسبات.

() انظر فؤاد عبد المعطي، النوروز وأثره في الأدب العربي، ص(٩-٤-٤٦).

() محمد زغلول سلام، الأدب في العصر العباسي منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث، دار المعارف، ص(٨٨).

() أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ص ١١٢.

والنيروز عرف بالبهجة والسرور في النفوس، فقد كان رمزاً للسعادة، والجمال، وراحة النفس، وفي هذا قال أبو محمد المطران الشاشي^(١)، في قصيدة نيروزية:

قد أتاك النيروز وهو بعيدُ مرّ من قبله قريباً رسيلُ
سل سبيلاً فيه إلى راحة النفس —س— براح كأنّها سلسبيلُ
واشتملاً على السرور وهل يجـ —مع شمل السرور إلا الشمول^(٢)
تبارى الشعراء وتقنوا في تقديم التهاني بالنيروز، وتصوير جماله الذي يشبه جمال الممدوحين، كما نجد ذلك عند الشاعر مهيار الديلمي الذي يمدح الملك بهذه المناسبة ويهنئه بها، فيقول:

وإن أتى رائدُ النيروز مجتدياً أيمانكم فالروابي الخُضرُ والعشْبُ
فمن جباهكم نورُ الربيع لنا وممن أگفكم الأنواءُ تتسكبُ
يوم يكرُّ به إقبالُ جدكم غداً على ملككم ما كرت به الحقبُ
تجلون من حسنه خطّ العيون فالـ أشعار فيكم حظوظ السمع والطربُ
فما بقيتم فأيامي بعزكم كما أحبُّ وأحوالي كما تجب^(٣)

يغتتم الشاعر هذه المناسبة للإشادة بالملك وتقديم التهئة، ليجعل من ممدوحه رائداً لهذا النيروز الذي قد حل، فمنه تأتي الخضرة والعشب، ومن جبينه يسطع نور الربيع، وكان هذه المناظر الربيعية الجميلة تجلي العيون بالنظر إليها، كما أن الأشعار تثير الطرب في مسمعها.

إن إقبال النيروز ناشراً حلّه، ومنيراً حليته، فرصة للشعراء في التقرب إلى الخفاء والسادة، حتى كأنهم يقولون، كل سنة وهذا الممدوح وأهله سالمون، مشرقون كما النيروز، ومنها ما قاله الشريف المرتضى يمدح بهاء الدولة، ويهنئه بالنيروز متمنياً له دوام النعمة وبقاء الحكم، فيقول:

() أبو محمد المطران، هو الحسن بن علي بن مطران، أبو محمد المطراني، شاعر الشاش، كان بخير وحسن حال، شعره مدون كثير، انظر بيتمة الدهر، ج/٤، ١٣٢.

() الثعالبي، خاص الخاص، شرح مأمون بن محي الدين الجنان، ص(٢٢٣).

() مهيار الديلمي، الديوان، ج/١، دار الكتب المصرية، دت، ص(١٣٢).

بنبي بوييه أتم الله نعمتكم ولا يزل منكم في الملك مُحْتَكِمٌ
وأنت يا ملكَ الأملاكِ عشْ أبدأ فما سلمت لنا فالخلقُ قد سلموا
وانعمْ نعمتَ بذا النيروز مُرتقياً إلى المحلِّ الذي لم ترقه قَدَمٌ
مُبَلَّغاً كلما تهوى وإن قُصِرَتْ عنه الأمانِيُّ موصولاً لك النعمُ^(١)

يقدم الشاعر صورة جديدة للتهنئة بهذه المناسبة، وذلك بجعل النيروز مبلغاً لتحقيق الطموحات والغايات التي يسعى إليها الممدوح، وفي هذه المناسبة يشير الشاعر إلى سلامة الممدوح وذلك أن في سلامته، سلامة للخلق، كما أشار إلى ذلك المتنبي في قصيدة له بسيف الدولة بقوله:

إذا سلمت فكلَّ الناس قد سلّموا^(٢)

يشيع في العصر العباسي ظاهرة التهنئة بعيد النيروز بشكل واسع، وقد حاول بعض الشعراء أن يضيفي على هذا العيد روحاً إسلامية، ومنها ما كتبه الحسن بن وهب^(٣) يهنئ المتوكل بهذا العيد، حيث يشير إلى دور الخليفة من الناحية الدينية في الحفاظ على الدين ونصرته والذود عنه، كما يصور استبشار الناس بخلافة المتوكل، وثقتهم بقيادته، وعزتهم به، وتتضح النزعة الإسلامية في بيان دور الخليفة، في قمع أهل الشرك، ومحاربتهم، هذا الأمر الذي قرت به عيون المسلمين في نصرته للإسلام، وإذلاله للكفر، فيقول^(٤):

فداك الزمان، وأهلُ الزمان إمامُ الهدى بك مُستبشرينا
وقد ألقوا إليك مقاليدهم جميعاً مُطعنين، مُستوثقينا
ولا زلت زيناً لأعيادنا وللدين كهفاً وحصناً حصينا
يعزز بدولتك الصالحون ويشقى بك الشركُ والمشركونا

(١) الشريف المرتضى، الديوان، القسم الثاني، ص(٤١٢).

(٢) المتنبي، الديوان، ج/٢، ص(٧٥٤).

(٣) الحسن بن وهب (ت ٢٥٠هـ / ٨٦٥م)، الحسن بن عمرو الحارثي، أبو علي، كاتب من الشعراء، كان معاصراً لأبي تمام، وله معه أخبار، وهو أخو سلمان (وزير المعتز والمهتدي)، الأصفهاني، الأغانيو مجلد/٢٢، ص ٥٣٣.

(٤) الجاحظ، المحاسن والأضداد، قدم له وشرحه، عاصم عيتاني، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م، ص(٢٤٠).

وكم فعلية لك في المشركين أقرت عيوننا، وأبكت عيوننا
 النيروز مصدر سعادة ونعمة، كما يصوره الشريف الرضي في تهنئة قدمها لبهاء الدولة
 بعيد النيروز، الذي قدم إليهم زائراً منتظراً، مبيناً أثر هذا العيد في نيل الغايات، ويخلع على
 ممدوحه صفات جمالية كجمال النيروز، فهو المراد والمبتغى والملجأ، والمورد والعز الذي لا
 يشوبه كدر، وكأن الشاعر بهذه التهنئة يضيف على ممدوحه جماليات النيروز، فيقول^(١):

وأنعم يوماً هذا النيروز زو رأنا نازلاً ومُنْتَظَرُ
 قضيت فيه وطراً وما قضى منك وطراً^(٢)
 أنت المُرَادُ والمَرَا د والمعَادُ والعُصْرُ^(٣)
 رد من جمام العز لا مطرقاً، ولا كدر
 وأزدد بقاءً وعلوياً ما بعد وردتك صَدْرُ
 مقدماً إلى العلى مؤخرأ عن القدر

ونجد المتنبي في تهنئة يقدمها إلى أبي الفضل بن العميد بالنيروز، يضيف معاني جديدة
 في هذه المناسبة، وذلك أن النيروز هو الذي قدم إلى ممدوحه، ليجعل من ممدوحه مراداً يقصده
 النيروز، كما يشير الشاعر إلى ما يبثه النيروز من فرح وسعادة في النفوس، مبيناً أصوله
 الفارسية، وتعظيمهم له، حتى حسدته جميع الأيام لتعظيمهم إياه، والطقوس التي تمارس فيه من
 لبس الأكاليل، لتأتي هذه التهنئة بأبهى الصور وأجملها، فيقول^(٤):

جاء نوروزنا وأنت مُرَادُهُ ووررت بالذي أراد زناؤه
 هذه النظره التي نالها منكِ إلى مثلها من الحول زاده
 يئنثي عنك آخر اليوم منهُ ناظر أنت طرفه ورقاده
 عظمته ممالك الفرس حتى كل أيام عامه حساده

() الشريف الرضي، الديوان، تعليق وضبط: محمود مصطفى حلاوي، الطبعة الأولى، ج/١، دار الأرقم بن
 أبي الأرقم، بيروت/ لبنان، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص(٤٥٥-٤٥٦).

() الوطر، الحاجة فيها مأرب .

() المراد: ما يريده المرء، (راد) المرعى، معاذ: الملجأ والاعتصام، مادة(عاذ).

() المتنبي، الديوان، ج/٢، ص(١٠٤٤).

ماليستنا فيه الأكاليل حتى لبيسها تلاعُ ووهادة^(١)

شق النيروز لنفسه احتفالاً رائعاً، ليشيع فيه ظاهرة الهدايا، فيغدو موسماً خصباً لتقديم الهدايا، سواء كان ذلك للخلفاء، أو الأمراء، أو الأصدقاء، ولعل ذلك كنوع من التعبير عن الود والصدقة، أو أنها مكان لنيل العطايا والتكسب وبخاصة من الخلفاء، كما تحمل هذه الهدايا دلالات معنوية أو مادية، فلهذه الهدايا أثر في النفس، فهي تقرب القلوب، وتوثق العلاقات، وتزيل الضغائن، وقد قيل عنها: (الهدية تفتح الباب المصمت، وتسل سخيمة^(٢) القلب^(٣)).

القوائد من أجمل الهدايا التي قدموها الشعراء بهذه المناسبة، فهي تحمل دلالات معنوية في نفس المهدي إليه، فهي تعلي من شأنه، ومنها ما قدمه علي بن جبلة إلى حميد الطوسي قصيدة يوم نيروز، مبيناً محاسنه، فهو صاحب عطاء وكرم، وشجاعة وجود، يرقى على مستوى البشر، ليتخذ الشاعر من هذه المناسبة فرصة للتهنئة والتودد إلى ممدوحه بذكره لمثل هذه الصفات، فيقول:

حميدُ يا قاسمَ الدنيا بنائله وسيفه بين أهل النكت والدين
أنت الزمانُ وقد يجري تصرفه على الأنعام بتشديدٍ وتلين
لو لم تكن كانت الأيامُ قد فنيت بالمكرمات ومات المجدُ مذحين
صورك الله من جودٍ ومن كرم وصور الناس من ماءٍ ومن طين
نهدي لك المدحَ موزوناً محبـره وتكسبنا عطاء غير موزون^(٤)

ويبدو أن هذه الأنوع من الهدايا التي تقدم في التهاني بعيد النيروز كانت ملمحاً يركز الشعراء على إبرازه في هذه المناسبة، حيث كانت القوائد والمدائح تقدم كهدايا، ومنها قول العباس الهمداني حيث يهدي للخليفة المأمون أحلى القوائد والمدائح والخطب في يوم النيروز،

() الوهاد: جمع(وهدة)، وهي الأرض المنخفضة والتلاع(تلعة) ما ارتفع من الأرض.

() سخيم: الحقد والغضب، مادة(سخم).

() الجاحظ، المحاسن والأضداد، عاصم عتياني، ص(٢٣٥).

() علي بن جبلة، الديوان، تحقيق: زكي ذاكر العاني، مطبعة دار الساعة، ١٩٧١م، ص(٧١).

مشيراً إلى تميزه بهذه الهدية، ويبدو أن هذه معاني مكررة لدى الشعراء في تقديمهم للتهاني والهدايا إلى ممدوحهم، فيقول^(١):

أهدى لك الناس، المرأ كـب والوصائفَ والذهبُ
وهديتي حلو القمصا ئد والمـدائح والخطبُ
وأهدى بعض أهل العصر العباسي، إلى بعض إخوانه كتاباً في أول يوم نقل فيه أمير المؤمنين المعتضد بالله موعد النيروز (قام المعتضد بالله بإعادة النظر في إصلاح التقويم، وقدم النيروز سبعين يوماً عن مواعده الذي كان يعرف به، وذلك من أجل التخفيف على الزراع، الذي كانوا يضطرون إلى دفع الخراج قبل حصد زرعهم بمدة)^(٢)، مشيراً إلى السنة التي اختطها الناس في مثل هذا اليوم من ضرورة تقديم الهدايا، ويرى بأن يهدي الشكر وذلك لما يحمله من دلالات معنوية في نفس المهدي إليه، فيقول:

هديةً عبدٍ قد علا فوق قدره فأهدى لمن يهواه عن غير أمره
رأى كلَّ عبدٍ مهدياً لحبيبه فلم يرَ أن يُهدى له غير شكره^(٣)
وللمكانة التي كانت تحتلها الهدية في عيد النيروز كانت تطلب، ومنها ما قاله جحظة البرمكي: دخلت على أبي الصقر بن بلبل^(٤)، وهو وزير في يوم النيروز، فقال: أين هدية النيروز (عيد الربيع) يا جحظة؟ فقلت: (في صدري: أيد الله الوزير) قال: أحب الهدايا هاتها، فأنتدته:

بـ (أبي الصقر) علينا نَعْمُ اللهُ جليلاً
ملكٌ في عينيه الذنُ يا لراجيه قليلاً^(٥)

() ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين ورفاقه، ج/٦، نخبة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٦٨هـ/١٩٤٩م، ص(٢٨٩).

() انظر فؤاد عبد المعطي الصياد، النوروز وأثره في الأدب العربي، ص(٩٥-٩٦).

() أبو بكر الأصبهاني، الزهرة، تحقيق: إبراهيم السامرائي، الطبعة الثانية، ج/٢، مكتبة المنار، الأردن، ١٤٠٦هـ/١٩٨٥م، ص(٧٤٩).

() أبو الصقر بن بلبل، ت(٢٧٨هـ)، كان وزيراً للمعتضد، جمع بين السيف والقلم- الفهرست.

() جحظة البرمكي، جمع وتحقيق: جان عبد الله توما، إشراف سعدي ضنهاوي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص(١٤١).

ونجدهم يبادرون إلى تقديم الهدايا بشقيها المعنوية من التهاني والمديح، والمادية كالورود التي تأخذ طابعا مميزاً في يوم النيروز، يوم الجمال والزهرة والخضرة، كما يصورون ممدوحهم بالورد في نضارته وإشراقه، كما نجد عند أبي أسامة الكاتب الذي بعث الورود إلى بعض أخوانه في يوم نيروز، فقال:

لا زلت كالورد نضير الميسم ونافذاً مثل نفل الأسهم^(١)

كان لعيد النيروز في العصر العباسي شأن كبير من الاهتمام، فقد أصبح من العادات التي يحرصون على الاحتفال بها، مقدمين التهاني بمقدمه الذي يستبشرون به، وغدا مناسبة مهمة لدى الشعراء الذين يتقربون بتهانيهم إلى الخلفاء والأمراء، والأصدقاء، ويصبح وسيلة من وسائل التقرب والتحبب لديهم، مصورين ممدوحهم بأحوال مختلفة، تملؤها الصور المشرقة كإشراق النيروز، متمنين قدومه وهم بأفضل الأحوال وأتمها، متخذين من النيروز صوراً مشرقة لإضافتها على ممدوحهم، كما نجد أن من مظاهر الاحتفال بهذا العيد تقديم الهدايا التي أصبحت كأنها واجب اجتماعي يهتم الناس بتقديمه، سواء كانت الهدايا من القصائد والمديح، أو من الهدايا المادية.

ثانياً: المهرجان

المهرجان: كلمة فارسية معربة أصلها (مهرجان) وقد كان من الأعياد الفارسية المهمة، وليس أدل على ذلك من أن كلمة (مهرجان) صارت تطلق في العربية على كل احتفال أو اجتماع عظيم، وهذا العيد في الحقيقة يلي في الشهرة عيد النيروز. وكان الفرس يحتفلون بهذا العيد منذ أقدم العصور^(٢)، ويكون عيد المهرجان في السادس عشر من (مهرمه) من شهر الفرس، ولكن النيروز أقدم من المهرجان بألفي وخمسين سنة^(٣).

() القرطبي، بهجة المجالس وأنس المجالس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، الطبعة الثانية، دار الكتب العلميّة، القاهرة، ١٤٠١هـ/١٩٨١م، ص(٢٨٧).

() فؤاد عبد المعطي، النوروز وأثره في الأدب العربي، ص(٢٥).

() الجاحظ، المحاسن والأضداد، قدم له وراجعه عاصم عتياني، ص(٢٣٢)، وانظر أبو الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، الطبعة الأولى، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ص(٤٦٤).

والحقيقة أنه لا يوجد سبب معين في اتخاذ هذا اليوم عيداً للمهرجان، وقد ذكر تفسيرات عدة، منها ما قيل: إن سبب تسمية الفرس لهذا اليوم أنهم كانوا يسمون شهورهم بأسماء ملوكهم، وكان لهم ملك يسمى (مهر) يسير فيهم بالعنف والعسف، فمات في النصف من هذا الشهر، وهو (مهرمه) فسمى ذلك اليوم مهرجاناً، وتفسيره نفس (مهر) ذهب^(١).

ونتيجة للعوامل والصلات التي ارتبطت بين العرب والفرس منذ زمن بعيد، دخلت هذه الأعياد إلى العرب، وأصبحت مناسبات يحتفلون بها، ومجالاً رحباً للتهاني، ومنها ما قدمه أبو علي البصير^(٢) يهنئ الفتح بن خاقان بيوم مهرجان حيث يتخذ الشاعر فكرة أو صورة جديدة للتهنئة التي يقدمها، بحيث تصبح هوية له، ألا وهي الشكر الذي يقدمه إلى ممدوحه، فيقول:

إني جعلت هـويتـي في المهرجان إليك شكري
لما تعدر واجـب فسح التعذر فيه عذري
فإذا أجزت على اسم من وافسق هديته بـر
فأدر على اسمي دارة واكتب عليه خليج فقر^(٣)

ويقدم الشعراء التهاني بالمهرجان باعتباره طالع سعد، حيث عرف بحسن مجيئه، ومنها ما قدمه الشريف المرتضى من تهنئة لبهاء الدولة بيوم المهرجان الذي ينتظر قدومه ليأتي بعد انقطاع، محملاً بالخيرات، قادماً بأوانه مقدماً للنعم واللذات، فيقول^(٤):

والمهرجان زمان بالسعود وبـا لنجح القريب إليك الدهر عجلان^(٥)
مضى الهجير به عنا لطيته فالطل مستبرد والجور ريان^(٦)

() سيد صديق عبد الفتاح، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، ص(٢٧٦).

() أبو علي البصير، هو الفضل بن جعفر بن الفضل بن يونس الكاتب، كنيته أبو علي، ولقبه البصير والضرير، لقب بالبصير لذكائه وفطنته على الرغم من أنه كان ضريراً، شاعراً بليغاً مترسلاً. الفهرست، شرح يوسف علي طويل، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، ص(١٩٨).

() يونس أحمد السامرائي، شعراء عباسيون، الطبعة الأولى، ج/٢، عالم الكتب، بيروت/ لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص(١٦٠).

() الشريف المرتضى، الديوان، القسم الثاني، ص(٥٠٦).

() النجج: النجاح، مادة (نجج).

() الريان: الممتلئ، مادة (روى).

فانعم به وخذ اللذات من يده فإئماناً هو للذات إيّان^(١)
 ودم لنا لنعيم ما لغايته وقت ولا مزيد منه نقصان
 ومن الصور التي رسمها الشعراء في التهاني بالمهرجان، بأنه متنفس لإزالة الهموم،
 والترويح عن النفس، وذلك بما يتركه هذا اليوم من سعادة في النفوس، ومن خلال مظاهر
 الاحتفال التي أخذت تظهر على الناس بارتدائهم للحلي، والأثواب، ووضع العطور، والتبختر في
 المشية كما يصورها ابن الرومي في تهنئة لعبيد الله بن عبد الله بالمهرجان، مصوراً الدنيا امرأة
 جميلة مزينة تجذب الرجال إليها في مثل هذا اليوم، إلا أنها تبقى عفيفة متمنعة لتدوم مظاهر
 السعادة والجمال، كما ينوع الشاعر في رسم معالم الفرح التي لا يكتفٍ بظهورها على الإنسان،
 بل تمتد إلى الأرض والبحار اللذين يخرجان ما بجوفيهما من الجواهر الثمينة لتزين الدنيا بهذا
 العيد، فيقول^(٢):

وأدبل السرورُ واللَّهُو فيه من جميع الهموم والأحزان
 لبست فيه حلي حَقَلَتِها الدُّنُـيا وزافت في منظر فتان
 وأذلت من وشيها كُلَّ بُردٍ كان قديماً تصوُّه في الصَّوان^(٣)
 وتبدت مثل الهدى تهادى رادع الجيب، عاطرَ الأبدان
 فهي في زينة البغيِّ ولكن هي في عفة الحصان الرزان^(٤)
 كادت الأرضُ يوم ذلك تُفشي سرَّ بطنانها إلى الظهران
 فُحَلِّيَ ظهورها ما يوارى بطئها من معادن العقيان^(٥)
 وتبوحُ البحار بالدرُّ بوحاً وبما أضمرت من المرجان

ومن الأمور التي يحرص الشعر على ذكرها في التهاني بالمهرجان، الإشارة إلى أصوله،
 ووقت قدمه، كما في التهنة التي بعثها سعيد بن حميد إلى أحد الأمراء، مشيراً إلى أنه يوم كان

() إيّان: أوّانه، مادة (آب).

() ابن الرومي، الديوان، ج/٦، ص(٢٣٨).

() الصَّوان: وعاء يَصان فيه الثياب.

() الحصان: المرأة المحصنة بعفتها، مادة (حَصَن).

() العقيان: جمع عقيق، وهو من الأحجار الكريمة الثمينة.

يحتفل به آباء الممدوح الأشراف الذين يقدرّون هذا العيد، ويعلون من شأنه، وإلى الوقت الذي يأتي به، وذلك أنه يأتي في الشتاء، فيقول سعيد بن حميد:

غاد في المهرجان كأساً شمولاً وأطعني ولا تُطعني عذولا
فهو يومٌ قد كان أبواك الغم رُحلوْنَه محلاً جليلاً
إن للصيف دولة قد تقصّت وأراك الشتاء وجهاً جميلاً^(١)

ومن الصور التي تظهر لدى الشعراء في تقديمهم للتهاني بالمهرجان، هي الصور ذات المعاني والنمط التقليدي في التقرب إلى الممدوح، ومنها ما قاله الشريف المرتضى في تهنئة لبهاء الدولة بالمهرجان، مشيراً إلى أثر هذا اليوم في سعادته، مستخدماً النمط التقليدي في التهنة من الدعاء للممدوح بطول العمر، والسلامة، والسعادة، وبهذا تكون التهاني فرصة للجذب نحو الممدوح والتحبب عنده، فيقول:

وأسعد بيوم المهرجان وخذ منه طویل العمر مقتبلاً
وأسلم ولا (سلب) الزمان لكم ظلاً يفيئ لنا ولا نقلاً
وعيوننا لا أبصرت أبداً أمراً لأمركم ولا أجلاً
واحتلت التعماء داركم وامتدّ فيها العزّ واتصلاً
فعلی الإله إجابني لكم وعلیّ بالإشفاق أن أسلاً^(٢)

والمهرجان كغيره من المناسبات، والأعياد التي تأخذ مظاهر مختلفة في التعبير عن الفرح، ومنها الاحتفالات وتقديم الهدايا التي أصبحت تتخذ أشكالاً مختلفة، فمنها ما يكون بالقصائد والمديح، ومنها ما يكون بالهدايا المادية التي قد تتم عن شخصية صاحبها، وطبيعة الشخص المهدي إليه، بالإضافة إلى العلاقة بين الهدية والمناسبة، ومن هذه الهدايا ما قدمه شاعر متخذاً مما نسجه لسانه من كلام عذب مشرق كإشراق المهرجان ونوره، ليقدمها إلى ممدوحه في هذا اليوم، فيقول:

ليوم المهرجان بك اختيالٌ وإشراقٌ ونورٌ يُستبانُ

() يونس احمد السامرائي، شعراء عباسيون، ج/٣، ص(٢٥٩).

() الشريف المرتضى، الديوان، القسم الثاني، ص(٢٨٢).

جَعَلْتِ هَدِيَّتِي لَكَ فِيهِ وَشَيْئاً وَخَيْرُ الْوَشْيِ مَا نَسَحَ اللِّسَانَ^(١)

حرص المجتمع العباسي على تبادل التهاني بالأعياد الفارسية التي دخلت عليه، متخذاً أجمل الصور في تهانيه المقدمة إلى الممدوحين، التي تشف عن انتظار الشعراء لهذه المناسبات لتشكل لهم مساحة في التودد والتحبب لمن يقدمون تهانيهم لهم، محاولين أحياناً إضفاء عليها مسحة إسلامية.

- التهنئة بالأعياد المسيحية:

الأعياد محطات زمانية يتوقف عندها الكثير لإحياء حوادث ومناسبات معينة دينية واجتماعية وغيرها قد حدثت عبر الزمن، وفي المسيحية هناك أعياد مختلفة لها علاقة بالإيمان والمعتقدات الدينية ومن هذه الأعياد، عيد الشعانين.

- عيد الشعانين:

وتفسيره بالعربية التسبيح، ويحتفل به النصارى في سابع أحد من صومهم، وسنتهم فيه أن يخرجوا بسعف النخيل من الكنيسة، وهو يوم ركوب المسيح لليعفور، وهو (الحمار) في القدس ودخوله (صهيون) وهو راكب والناس يسبحون بين يديه، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر^(٢).

وفي هذا اليوم يهنئ الشريف الرضي نصرانياً بعيد الشعانين الذي قدم في يوم جميل، كجمال وجوه العذارى ذات العيون الواسعة، فيزيده العيد سرورا بعد صيام تقضى، وتحمل إليه الضمائر التهنئة بالود، فيقول الشريف الرضي^(٣):

وَرُبَّ يَوْمٍ صَقِيلٍ الْوَجْهَ تَحْسَبُهُ مُرْصَعاً بِجِبَاهِ الْخُرْدِ الْعَيْنِ^(٤)
أَتَاكَ يَقْتَادُ عَيْدَاً فِي حَقَائِبِهِ زَاؤُ السَّرُورِ عَلَى الطَّيْرِ الْمَيَامِينِ
فَالْبَسَ جَلَابِيئَهُ الْبَيْضَ الَّتِي شَرُفَتْ وَاخْرُجَ عَنِ الصَّوْمِ مِنْ أَثْوَابِهِ الْجُونِ^(٥)
جَاءَتْ تُهْنِيكَ بِالْوُدِّ الَّذِي عَلِقَتْ مَتَا الضَّمَائِرُ لَا يَوْمَ الشَّعَانِينِ

كما كان بعض الخلفاء العباسيين يحتفلون بيوم الشعانين، مقيمين مظاهر الفرح بقدمه، كما

(١) الزوزني، حماسة الظرفاء من أشعار المحدثين والقدماء، تحقيق: محمد محي الدين بن محمد سالم، ط/٢، دار الكتاب اللبناني/ بيروت، مجلد/٢، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص(١٦٧).

(٢) سيد صديق عبد الفتاح، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، الطبعة الأولى، دار الأمين، القاهرة، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص(٢٨٣).

(٣) الشريف الرضي، الديوان، ج/٢، ص(٤٣٥).

(٤) (صقيل: مجلوء، مادة(صقل)، الخرد: العذارى، مادة(خرد).

(٥) (الجون: السود، مادة(جان).

الفصل الثالث

الاتجاه الاجتماعي في شعر التهاني

الاتجاه الاجتماعي في شعر التهاني

التهاني بالمناسبات الاجتماعية:

التهنئة مظهر من المظاهر الاجتماعية التي ترتبط بمناسبات مختلفة، غالباً ما تكون مبعثاً للبهجة والسرور، ومدعاة للتواصل والتقارب بين الأصدقاء والخلان ومشاركة لأصدقائهم الفرحة، ومبادلتهن التهنئة فإذا ما أصابهم خير من زواج، أو إنجاب للأبناء، أو ختانهم، وغيرها من المناسبات، انهالت عليهم التهاني.

ويظهر في شعر التهاني ما كانت تحياه الحاضرة العباسية آنذاك، في الحفاظ على معاني الإخوة، والصداقة، والاحتفال بأسباب المودة والألفة والرعاية لواجبات الأخوان والخلان، كما ساعدت طبيعة الحياة العباسية، وما فيها من غنى سياسي وديني واجتماعي على انتشار هذا اللون من الشعر وازدهاره.

ومن المناسبات الاجتماعية التي كثرت فيها التهاني:

أولاً: التهاني بالزواج:

الزواج من المناسبات التي قدم فيها الشعراء معاني البهجة والسعادة في تهانبيهم، وأخذوا يظهرن ما أصاب المتزوجون من نعمة، وما جلبه الحدث السعيد من الفرحة الغامرة، ونجد الشعراء يحرصون على المبادرة في تسجيل هذه المناسبة لدى الخلفاء، والأمراء، والوزراء، والأصدقاء، فينظمون القصائد لتهنئتهم، فهذا ابن الرومي يقدم صورة فنية جميلة لزفاف المعتضد الذي تبتهج له النفس حين تزف الشمس إلى بدر الدجى، وقد لاح نجم سعهما، في إقبال النفس إلى منيئها، بزفاف السيدة إلى سيدها صاحب السؤود، فسرّ بذلك الزمن، فيقول:

| | |
|---|---|
| زُقَّتْ إِلَى بَدْرِ الدُّجَى الشَّمْسُ | وَلَا حَ سَـعْدٌ، وَخَبِـا نَحْسُ |
| وَأَقْبَلَتْ نَفْسٌ إِلَى مُنِيَّةٍ | يَمْتَلِهَا تَغْتَبُطُ النَّفْسُ |
| سَيِّدَةً تُهْدِي إِلَى سَيِّدٍ | لَمْ يُمَسَّ فِي سُؤْدِهِ لَبْسُ |
| ذَلِكَ عُرْسُ الدَّهْرِ مِنْ أَجْلِهِ | حَنَّ غَدٌّ، وَالتَّقَّتْ الأُمْسُ ^(١) |

() ابن الرومي، الديوان، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، ج/٣، ص (٢٦٩).

ويكثر الشعراء من وصفهم للعروسين فصوروهما بأبدع الصور وأجملها، مظهرين معالم الفرح بإقبال العرس الذي به تتال الآمال، ليزف الزوج إلى عروسه، وسط جو من البهجة والجمال، فإذا تقاربت السعود، صلحت الأحوال وتحسنت، فيقول أبو إسحاق الصابي:

عُرْسٌ يُعْرَسُ عَنْدَهُ الْإِقْبَالُ وَتُتَالُ مِنْ جَنَابٍ الْآمَالُ
بَدْرٌ يُزْفُ عَلَيْهِ وَسَطُ سَمَائِهِ شَمْسٌ عَلَيْهَا بَهْجَةٌ وَجَمَالُ
وَإِذَا تَقَارَبَتِ السَّعُودُ فَعَنْدَهَا يُرْجَى الصَّلَاحُ وَتَحْسَنُ الْأَحْوَالُ^(١)

ويشيع في مناسبة الزواج تقديم الهدايا، ويعبر كل عن مدى فرحته بهذه المناسبة السعيدة، لتحتل الهدايا دوراً في توثيق أو اصر المحبة، والإخاء، فقد تتخذ أشكالاً عدة، فقد تكون من الأكل أو الشراب، أو قد تكون ثياباً أو قماشاً، كما أنها تكون قصيدة تتم عن مشاعر ناظمها.

وقد عبر الشعراء عن تأثير الهدايا في الناس، ودورها في التواصل، وزرع الود في القلوب، كما يبين ذلك الشاعر دعبل الخزاعي، فيقول:

هِدَايَا النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ثَوَّلْتُ فِي قَلْبِهِمُ الْوَصْلَا
وَتَزْرَعُ فِي الضَّمِيرِ هَوًى وَوَدًّا وَتَكْسُوهُمْ إِذَا حَضَرُوا جَمَالًا^(٢)
والهدية تكون على قدر مقدمها، والغاية منها أن يقبلها المقدم إليه، كما أشار إلى ذلك الشاعر أبو الفتح البستاني، فيقول^(٣):

هِدْيَةٌ الْعَبْدِ عَلَى قَدْرِهِ وَالْقَصْدُ أَنْ يَقْبَلَهَا السَّيِّدُ
أَمَا تَرَى الْعَيْنَ عَلَى فَضْلِهَا تَقْبَلُ مَا يَهْدِي لَهَا الْمُرُودُ^(٤)

ويعد الاحتفال أحد مظاهر الزواج، مما يضمه من مهنيين بهذا العقد الحميد، لما فيه جمع للشم، والمؤانسة، متمنين للعروسين طيب المعشر، وحسن النبات، بنجباء الأولاد، كما يقدم في

() ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، تحقيق إحسان عباس، مجلد/٤، ص (١٧٠).

() دعبل الخزاعي، الديوان، تحقيق: عبد الصاحب عمران الدجيلي، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٧٢م، ص (٢٦٠).

() أبو الفتح البستاني، الديوان، تحقيق: درية الخطيب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص (٢٣٧).

() المرود: أداة تستخدم لتحويل العين.

الاحتفال بالزواج الأكل والشراب، والهدايا، وقد يصل الأمر إلى درجة المغالاة والإسراف، كما نجد عند بعض خلفاء العصر العباسي، حيث يذكر الطبري خبر زواج المأمون من بوران بنت الحسن بن سهل^(١)، فيمنح المأمون الحسن بن سهل الآلاف من الأموال، بمناسبة الزواج، بالإضافة إلى إقليم، ولتتعدى مظاهر الإسراف إلى أن ينثر الحسن بن سهل الأموال على القواد، والكتاب، وبنادق مسك فيها رقاع بأسماء ضياع، وأسماء جوار ودواب وغير ذلك، فكانت البندقية إن وقعت في يد رجل، ملك ما بها^(٢).

كما يذكر الطبري بأن المأمون سأل حمدونية بنت غضيض عن مقدار ما أنفقت على هذا الزواج (زواج المأمون من بوران) فقالت: أنفقت خمسة وعشرين ألف ألف، فقالت أم جعفر ما صنعت شيئاً، قد أنفقت ما بين خمسة وثلاثين ألف إلى سبعة وثلاثين ألف ألف درهم^(٣).

وقد بادر الشعراء إلى تصوير زواج المأمون من بوران، مشيدين بهذا النسب، كما قام إبراهيم بن العباس الصولي بتهنئة أصهاره الأكرمين، الذين جدعوا أنوف الأعداء، وأجبروهم على الانقياد والرضوخ لمشيئتهم، فالمأمون جمع بين الشملين، من آل هاشم وآل سهل ليكون خير نسيب لأعرق نسب، فيقول^(٤):

لِيَهْنِئَكَ أَصْهَارُ أَذَلَّتْ يَعْزَّهَهَا خُدُوداً وَجَدَّعْنَ الْأَنْوْفَ الرَّوَاعِمَا^(٥)
جَمَعْتَ بَيْنَ الشَّمْلَيْنِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَخُزَّتْ بِهِ لِلْأَكْرَمِينَ الْمَكَارِمَا
في حين يرى أبو هلال العسكري في تهنئة بالإملاك، مبلغ الآمال في سائر ما تهواه، مقدماً صورة يملؤها الفرح بهذا الزواج، معبراً عن ذلك بألفاظ تتناسب وحالة الفرح بهذه المناسبة، من التبر، والجوهر، والعقد المفصل، والعطر، وذلك بدنو المحبوبة إليه، وتيسر ما كان صعباً، فيقول:

() بوران بنت الحسن بن سهل، اسمها خديجة، تزوجها المأمون لمكان أبيها منه، ت(٢٧١)، وفيات الأعيان، مجلد/١، ص(٢٩٠).

() الطبري، تاريخ الطبري، مجلد/٥، ص (١٧١).

() المصدر السابق نفسه، ص (١٧١).

() إبراهيم بن العباس الصولي، الديوان، أحمد جمال العمري، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م، ص (٢٢٦).

() الرواغم: المكره، ذل عن كره، مادة (رغم).

تُجَلِّي لَكَ الْأَمْلاكُ عَمَّا تُحِبُّهُ فَإِنَّكَ قَدْ قَصَّاتَ بِالنَّبْرِ جَوْهَرًا
فَصَيَّرْتَهُ لِلدَّهْرِ عَقْدًا مُفَصَّلًا وَطَبَّرْتَهُ فِي الْأَفْقِ نَشْرًا مَعْطَرًا
هُوَ الْيَمْنُ لَمْ يُعْدِمَكَ مَحْبُوبَةٌ دَنَتْ وَمَكْرُوهَةٌ شَطَطَتْ وَصَاعِبًا تَيْسَرًا^(١)

ولم تقتصر التهنية بالزواج، بتهنية الزوج بزوجه فقط، وإنما تهنى الزوج أيضاً بزوجهما، لنرى ابن الرومي يهني المعتضد بالله بزفافه، ويهني عروسه بما ظفرت به من سيد عظيم القدر، فوق المطالب، يبهج ناظرها، مما جعلها أهلاً لهذا الزوج لما تمتاز به من صفات حسنة، فهي صاحبة الضمير النبيل، واليد الكريمة، وشمس الضحى ترف إلى بدر الدجى، ليتكشف الظلم بهذا الزواج، فيقول:

يَا سَيِّدَ الْعَرَبِ الَّذِي قُدِّرَتْ لَهُ بِالْيَمْنِ وَالْبَرَكَاتِ سَيِّدُهُ الْعَجَمُ
أَسْعَدَ بِهَا كَسْعُودِهَا بِكَ إِنِّهَا ظَفَرَتْ بِمَا فَوْقَ الْمَطَالِبِ وَالْهَمَمِ
ظَفَرَتْ بِمَالِي نَاطِرِيهَا بِهَجَّةٍ وَضَمِيرِهَا نُبْلًا وَكَفَيْتَهَا كَرَمِ
شَمْسُ الضُّحَى زُقَّتْ إِلَى بَدْرِ الدُّجَى فَتَكَشَّفَتْ بِهِمَا عَنِ الدُّنْيَا الظُّلْمِ^(٢)

وفي موقع آخر، يقدم ابن الرومي تهنية بزواج، فيقدم لوحة متكاملة الفرحة تظهر معالمها بطولع البدر، والزهرة، وابتهاج الدنيا، حتى الملك غدا نظراً بهذه المناسبة، ثم يصور زفاف العروسين الذي به تبدلت الأمور من عسرها إلى يسرها، والدعاء لهما بالتوفيق، وإتمام عليهما النعمة والمسرة، وزادهما بأولادهما، كما يشير الشاعر هنا كغيره من الشعراء إلى ظاهرة موجودة في كل زمان، وهم الحساد الذين يزدادون حسرة بهذا الزواج، فيقول^(٣):

قَدْ طَلَعَ الْبَدْرُ مَعَ الزُّهْرَةِ فِي دَوْلَةٍ مَوْنَقَةٍ الزُّهْرَةِ
فَأَمْسَتْ الدُّنْيَا لَهَا بِهَجَّةٍ وَأَصْبَحَ الْمَلِكُ لَهُ نَضْرَةٌ
سَيِّدَةٌ زُقَّتْ إِلَى سَيِّدٍ بَدَلْنَا الْيَسَرَ مِنَ الْعُسْرَةِ

() أبو هلال العسكري، الديوان، تحقيق: جورج قناز، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م، ص (١١٤).

() ابن الرومي، الديوان، ج/٦، ص (١٢).

() المصدر السابق نفسه، ج ٣، ص ١٣٤-١٣٥.

ألف بالتوفيق شـمـلاهما من نعمةٍ تمت، وفي حبرة^(١)
لا أعقبها من فرحةٍ ترحوة كلا ولا من حبره عبـرة
ولا أرانا الله يومئذهما لكن أرانا منهما الكثرة
عمـره الله وأبقى لـه ركنيه: من عز ومن قدرة
وسـر مولانا بمولاته وزاد حـسادهما حـسرة

تبدو الألفاظ والمعاني التي تقال في التهنئة بالزواج متشابهة في كثير من النصوص التي قدمت بهذه المناسبة، تحمل معاني ودلالات توشك أن تكون واحدة، وكأنها أفكار تتبع من مصدر واحد، وهذا ينطبق على التهاني بالزواج شعراً ونثراً، ومن المعاني التي صيغت نثراً، ما كتبه رجل إلى صديق يهنئه بالدخول على أهله: قد بلغني ما هيا الله لك في اجتماع الشمل، بضم الأهل، فشركتك في النعمة، وكنت أسوتك في السرور، وشاهدتك بقلبي، ومثلت ما أنت فيه لعيني، فحلت بذلك محل المعايين للحال، وزينتها فهنيئاً، هناك الله ما قسم لك، وبالرفاء والبنين، وعلى طول التعمير والسنين^(٢).

وبهذه المناسبة تجيش صدور الشعراء بالعواطف والمشاعر والأحاسيس التي يحملها الوجدان المشترك بين المتألفين، وما تحملها هذه المعاني من البهجة والسعادة في تهنئاتهم، فيقول ابن الرقاع^(٣) لمتزوج، مبيناً مدى السعادة في جمع الشمل، حتى أنه يجعل زواجهما ليس له شبيه من قبل، سواء بما شاهده، أو بما سمع عنه، فيقول:

قمرُ السماءِ وشمسُها اجتمعَا بالسعد ما غابا وما طلعا
ما وارتِ الأسـتارُ مثلهمَا فيمن رأيناه ومـن سـمعَا
دام السـرور له بها ولها وتهناً طول الحياة معا^(٤)

(١) حبره: مسره ونعمة، مادة (حبر).

(٢) ابن قتيبة، عيون الأخبار، مجلد ٣، ص ٦٩.

(٣) ابن الرقاع: هو عدي بن زيد بن الرقاع، كان شاعراً مقدماً عند بني أمية، مداحاً لهم، وله بنت شاعرة يقال لها سلمى، جعله محمد بن سلام في الطبقة الثالثة من شعراء الإسلام، كان منزله بدمشق، وهو من حاضرة الشعراء، لا من باديتهم، ت (١٠٢هـ)، الأغاني، مجلد/ ٩، ص ٣٠٠.

(٤) عدي بن الرقاع العاملي، الديوان، تحقيق: الشريف عبد الله الحسيني البركاني، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م، ص ٦٠.

يشيع في التهاني المقدمة بالزواج معاني البهجة والسرور، إذ يظهر الشعراء ما أصاب العروسين من النعمة، مصورين أثر حصول هذه النعمة في أنفسهم ليغدو الزواج مناسبة لإظهار الحب الذي غمر كلاً من الزوجين، لنجد صوراً وألواناً لهذا الوئام، كما تتم التهاني بالزواج إلى التآلف في أوساط المجتمع العباسي، حيث الاحتفالات الكبيرة، والهدايا التي تقدم بهذه المناسبة.

ثانياً: التهنة بالإيجاب:

المواليد هم ثمار الزواج ونتاجه، وبهم تكتمل فرحة الزواج وتستمر البشرية، فهم زينة الدنيا، ومبعث السرور والبهجة، وقد أكثر شعراء العصر العباسي من التهنة بالمواليد، سواء كان المهناً من أبناء الخلفاء، أو الأمراء، أو من أبناء الأصدقاء، فقد كان الشاعر حينما يسمع بولادة ابن لأحدهم يقدم له قصيدة يهنئه بقدم الفارس الجديد، أو يهنئه بريحانة القلوب، مبيناً أثر مقدمه في النفوس، وما يبعثه من بهجة لأهله ومحبيه، وطعنة لحساده ومبغضيه، فيقول الشريف الرضي مهنئاً أخاه بمولود ذكر، هذا المولود الذي يستمد فخره من أبيه، مظهرراً محاسنه في جمال وجهه ومبسمه، مبيناً أثر مقدمه على مبغضيه الذين رماهم الدهر بسهم أصاب قلوبهم، فيقول^(١):

لِيَهْنِئَكَ مَوْلُودٌ يُؤَلِّدُ قَهْرَهُ أَبٌ، يَشْرُهُ لِلْسَّائِلِينَ دَرَائِعُ
وَلِيَدٌ لَوْ أَنَّ اللَّيْلَ رَدِّي بِوَجْهِهِ لَمَّا جَاوَرَتْهُ بِالْجُنُوبِ الْمَضَاجِعُ
وَمُبْتَسِمٌ يَرْتَجُّ فِي مَاءِ حُسْنِهِ لَهُ مِنْ عِيُونِ النَّاطِرِينَ فَوَاقِعُ
رَمَى الدَّهْرُ مِنْهُ كُلَّ قَلْبٍ مِنَ الْعَدَى بِسَهْمٍ نَضًا أَحْقَادَهُمْ وَهُوَ وَادِعُ^(٢)

المولود من أفضل النعم موقفاً على النفوس، فهم الخلفاء على الأهل، والسند والذخر، وبهم يكون جميل الذكر والثناء، ويقدم الشعراء في تهنتهم بالمولود الجديد مدحاً لوالده، والدعاء له بطول الأجل، حتى يشهد بلوغ نجله، كما صورها إسحاق بن إبراهيم الموصلي مهنئاً الفضل بن الربيع^(٣) بابن له، الذي سيحمل مجد والده، ويفدى كما والده، فهو يحمل شمائله المحموده، فيقول:

() الشريف الرضي، الديوان ، ج١، ص ٦٢١.

() نضا: نزع وأزاله.

مَدَّ لَكَ اللهُ الْبِقَاءَ مَدًّا حَتَّى تَرَى نَجَاكَ هَذَا جَدًّا
مَوْزِرًا بِمَجْدِهِ مُرَدِّي ثُمَّ يُفَدِّي مَثْمًا تُفَدِّي
كَأَنَّهُ أَنْتَ إِذَا تَبَدِّي شَمَائِلًا مَحْمُودَةً وَقَدًّا^(١)

وتمتد البهجة بقدم المولود الجديد إلى الأرض من حوله، وإلى المنابر ويمتد خيال الشعراء ليروه في حالته التي سيكون عليها، ليصبح قائداً يحيط به الجند، وتخفق فوقه الرايات، كما يراه أبو العتاهية الذي يهنئ الهادي بولادة مولود له، فيقول:

فَاكْتَسَتْ الْأَرْضُ بِهِ بَهْجَةً، وَاسْتَبَشَرَ الْمَلِكُ بِمِيلَادِهِ
وَابْتَسَمَ الْمُنْبَرُ عَنْ فَرْحَةٍ، عَلِمَتْ بِهَذَا دُرُوءُ أَعْوَادِهِ
كَأَنَّني بَعْدَ قَلِيلٍ بِهِ، بَيْنَ مَوَالِيهِ وَوُؤَادِهِ
فِي مَحْفَلٍ تَخْفِقُ رَايَاتُهُ، قَدْ طَبَّقَ الْأَرْضَ بِأَجْنَادِهِ^(٢)

وارتبطت قصيدة التهنئة بالحساد الذين يبدو أنهم موجودون في كل زمان ومكان، لذا أكثر الشعراء من الإشارة إليهم، وبيان حالهم، وأثر قدوم المولود على نفسياتهم، ومنها قول أبي العتاهية في ابن للهادي:^(٣)

أَكْثَرَ مُوسَى غَظِظَ حُسَادِهِ، وَزَيَّنَ الْأَرْضَ بِأَوْلَادِهِ
وَجَاءَنَا مِنْ صُلْبِهِ سَيِّدٌ، أَصْنَيْدٌ فِي تَقْطِيعِ أَجْدَادِهِ^(٤)

وكثيراً ما يتحدث الشعراء عن المستقبل الذي ينتظر المولود، وبخاصة إن كان ابناً لخليفة، أو أمير، أو لقائد، فإنهم يصورون له مستقبلاً عظيماً، كما هو الحال الذي عليه والده، كما أن الشعراء يتحدثون عن الأمنيات التي تراودهم، كما تراود أهله، متطلعين إلى تحقيقها في هذا المولود، كما صورها السري الرفاء في تهنئة أبي المعالي بمولوده، وتصويره إياه بأنه سيغدو

() الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي، الطبعة الأولى، ج ٤، دار الزخائر للمطبوعات، قم، إيران، ص ٤٠٧.

() أبو العتاهية، الديوان، ص ١٣٧.

() المصدر السابق نفسه، ص ١٣٧.

() اصيد: متكبر مزهو بنفسه، مادة (صاد).

ناصراً للمجد، وفارساً مغواراً، تتلم سيفه، واعوج رمح، لكثرة ما يقتل بهما، فيقول السري
الرفاء: (١)

تمَلَّ فارسَكَ المذكور في شميم بمثلها الدَّكر والصمصام مذكورُ
وافيي ومولده يخبرنا بأثمه ناصرٌ للمجد منـصورُ
فعاش ما نشر الدَّيجور حَتَّته وما انطوى بضياء الفجر ديجورُ (٢)
حتى تراه وحدَّ السَّيفِ في يده مُتلمَّ وسنانُ الرَّمحِ مَاطورُ (٣)

وتمتد التهنئات بالمواليد منذ قدومهم إلى بلوغهم مستدركين مولدهم، ورعايتهم، حتى
يصبحوا عوناً وسنداً، وبخاصة إن كانوا من بيت الحكم، فبلوغهم عندئذ شأن كبير لأهلهم
وللملك، فهم امتداد وثبات له، فيقول البحترى في تهنئة للمتوكل ببلوغ ابنه المعتز الذي أدرك
الحلم، لتظهر معالم الوقار والسداد عليه، لذلك فإن الملك نفسه أصبح كأنه مولود من جديد، مع
بلوغ المعتز، الذي يهنئ بقرب ولاية عهده، فيقول: (٤)

يا كالي الإسلام في غفلاته ومقيم نهجي حجَّه وجهاده (٥)
يَهْنِيكَ في المعتز بُشْرَى بَيِّنَتِ
قد أدرك الحِلمَ الذي أبدي لنا فينا قَضِيْلَةَ هَدْيِهِ ورشَّاده
ومُبَارِكِ مِيْلَادِ مُلْكِكَ مُخْبِرَا عن حِلْمِهِ ووقاره وسداده
بقريب عَهْدِ كَانِ مِنْ مِيْلَادِهِ

ويهنئ أبو فراس الحمداني سيف الدولة بابن له، مقدماً له بشارة تقر بها المكارم، مقدماً
إلى أعلى الناس شرفاً، صاحب العلا والمكارم. ليشرك الشاعر نفسه في هذه الأبوة، ذلك أن أبا
فراس هو خال المولود، فيقول:

يَهْنِي الأُمِيْرَ بِبِشَارَةٍ قَرَّتْ بِهَا عَيْنُ المِكارِمِ

() السري الرفاء، الديوان، كرم البستاني، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٩٩٦م، ص ١٧٦-
١٧٧.

() الديجور: الظلمة، مادة (دجر).

() مَاطور: معطوف ومنحني، مادة (أطر).

() البحترى: الديوان، ج/١، ص ٤٣٦-٤٣٧.

() كالي: حافظ وراع، مادة (كلا).

أَعْلَى الْوَرَى شَرَفًا وَمَنْ قَدْ بَشَّرُوهُ بِخَيْرٍ قَادِمٍ
إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ الْمُشَا رِكَ فِي الْأَبْوَةِ وَالْمُسَاهِمِ
لَأَقُولُ قَوْلًا لَا يُرَدُّ وَلَا يُرَى فِيهِ لَائِمٌ:
لـ أَبِي المعالي في العُلا و أبي المكارم في المكارم^(١)

وهذا أبو علي البصير يظهر سعادته وأحاسيسه تجاه المولود الجديد في تهنئة لأحدهم بمولود، لتبجته تلك البشارة التي زفت إليه، مقدماً الدعاء لوالده بطول العمر، حتى يرى بلوغ نجله وقد عمّر ، فيقول:

أَتَيْتُكَ جَذْلَانِ مَسْتَبَشْرًا لِبِشْرَاكَ لَمَّا أَتَانِي الْخَبْرُ
أَتَانِي الْبَشِيرُ بَأَنْ قَدْ رُزِقْتَ غَلَامًا فَأَبْهَجَنِي مَا ذَكَرُ
فَعَمَّكَ اللَّهُ حَتَّى تَرَا هَ قَدْ قَارَبَ الْخَطُّ فِيهِ الْكَيْرُ^(٢)

ويكثر الشعراء من امتداح أهل المولود، وكذلك امتداح قبيلته التي أصبح أحد أفرادها، ومنها ما كتبه الصولي إلى ابن الأشعث عقبه بن أهبان يهنئه بمولود، لينثي عليه كل ما هو جميل، مبيناً أثر مقدم ابنه على الخلان، والأعداء، مشيداً بأجداده، وقبيلته الكريمة، فيقول الصولي:

جَعَلْتَ فِدَاكَ مَنْ سَيِّدٍ حَقِيقٌ بِكُلِّ ثَنَاءٍ جَمِيلٍ
حَبَاكَ الْإِلَهَ بِإِحْسَانِهِ بَغِيظِ الْعَدَا وَسُرُورِ الْخَيْلِ
بِمَوْلُودٍ يَمُنُّ نَمَاهُ الْإِلَهُ هَ سَعِيدُ الْجَدُودِ كَرِيمُ الْقَبِيلِ^(٣)

ويقدم الصنوبري تهنئة إلى عبد الله السكري بمولود أغر، كالبدر في تمامه، ليستمد محاسن والده من المجد، والقدر، والجاه، والذكر، فهو نعمة يعجز الشكر عن وصفها، لما لهذا المولود أثر على النفس، فهو في موضع النور من العين، وموضع القلب من الصدر، فيقول^(٢):

() أبو فراس الحمداني، الديوان، سامي الدهان، ج ٢، القسم الثالث، بيروت، ١٣٦٣هـ/١٩٤٤م، ص ٣٦٠.

() يونس أحمد السامرائي، شعراء عباسيون، ج/١، ص(٣٨٣).

() الصولي، أخبار الشعراء، والمسمى كتاب الأوراق، ، ص ٢٤٧.

() الصنوبري، الديوان، ص ١٦.

هُدَيْتُهُ فِي سَعَةِ الْعُمُرِ هَالَلٌ مَجْدٍ عَنْ قَلِيلٍ يُرَى
أَعْرَ مَعَزُوًّا إِلَى الْغُرِّ مُنْتَظِرًا فِيهِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ
فِي أَقْوَمِهِ كَالْقَمَرِ الْبَدْرِ وَبِالْغَا فِي صِغَرِ السِّنِّ مَا
بُلِّغَتْهُ فِي كِبَرِ الْقَدْرِ أُعْطِيَتْ إِذْ أُعْطِيَتْهُ نِعْمَةٌ
تَضِيقُ عَنْهَا سَعَةُ الشُّكْرِ مُقَابِلُ بَيْنِ السَّدَى وَالنَدَى
مُرْتَشِحٌ لِلجَاهِ وَالذِّكْرِ (١) فِي مَوْضِعِ النُّورِ فِي الْعَيْنِ أَوْ
وَفِي مَوْضِعٍ آخَرَ، يَهْنِئُ الصَّنُوبِرِيُّ ابْنَ السَّبْعِيِّ بِمَوْلُودِ فَيْتَبَاهِي بِهِ أَمَامَ بَدْوِ قَحْطَانَ
وَمُضَرَ، لِيَصْبِحَ مَقْدَمُهُ كَالْغَيْثِ الْمَحْمَلِ بِالْخَيْرِ، وَالنَّدَى فِي رَقَّتِهِ، فَبِهِ تَقَرُّ عَيْنُ وَالِدِهِ، فَهُوَ النِّعْمَةُ
الْفَضْلَى لَهُ فِي حَيَاتِهِ، وَبِهِ الْأَمَانُ مِنْ خَطُوبِ الدَّهْرِ، فَيَقُولُ (٢):

تَبَهَّيْ سَابِغٌ بِمَوْلُودٍ يَتِيهٌ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْ بَدْوِ قَحْطَانَ وَمِنْ مُضَرَ
عَلَامَةٌ الْيُمْنِ فِيهِ غَيْرُ مُشْكَلَةٍ كَالْغَيْثِ مَظْرُءٌ يُنْدِيكَ عَنْ خَبْرَةٍ
قَرَرْتَ عَيْنًا أَبَا الْعَبَّاسِ وَابْتَسَمْتَ عَنْ عُمَرَكَ النَّعْمَةُ الطُّوْلَى وَعَنْ عُمُرَةٍ
وَسَالِمَتِكَ خُطُوبُ الدَّهْرِ فِيهِ وَلَا أَجِيفَ دُونَكَ بَابُ الْأَمْنِ مِنْ غَيْرَةٍ (٣)

يبدو أن كثيراً من المعاني والدلالات التي تحملها التهاني بالمواليد، تتقارب إلى حد كبير بين الشعراء، من حيث تركيزهم على السعادة في مقدمه، وأثره في النفوس المحبة إليه، وزيادة غيظ الحساد والمبغضين. وفي كيفية استقبال هذا الفارس الجديد، يقول أبو هلال العسكري في تهنئة بمولود، مبيناً أثر الخير في مقدمه واستقباله، مصوراً جماله وبهاؤه، فيغدو كشمس النهار، وبدر في ظلمة الليل، كما يشير الشاعر إلى ناحية مهمة، وهي سلامة المولود من كل عيب، حتى لا يكون للحساد مجال للطعن، أو الشماتة، فيقول:

فَاسْتَقْبَلِ الْخَيْرَ مِنْ نَجِيبٍ عَمَّا يَعْيبُ الْوَرَى نَزِيهٍ

() السدى: الشهد يسديه النحل.

() الصنوبري، الديوان، ص ١٥-١٦.

() أجاف الباب: أغلقه، مادة (جفأ).

شَمْسٌ نَهَارٌ وَبَدْرٌ لَيْلٌ يَمْلَأُكَ أَبْصَارٌ نَاطِرِيهِ
يملؤها بهجة إذا ما كَشَفَ عَنْ وَجْهِهِ الْوَجِيهِ
رُزْقَتُهُ كَامِلًا سَوِيًّا تَكَثَّرَ عِثَاتٌ عَائِيهِ^(١)

ويظهر الشاعر عبد الرحمن العطوي مدى الفرح التي أصابته بقدم مولود لصديقه علي ابن القاسم، ليأتي مهنتاً، جذلان، بهذه البشارة التي سر بها المحبون، وساء بها الحاسدون، فيقول:

أَتَيْتُكَ جَذْلَانٌ مُسْتَبِشْرًا بِيَشْرِكَ لِمَا أَتَانِي الْخَبْرُ
أَتَانِي الْبَشِيرُ فَكَمْ سَاءَ مَا أَتَانِي بِهِ مِنْ أَنْسَابٍ وَسِرِّ
أَتَانِي يَذْكَرَانِ أَنْ قَدْ رُزِقْتَ غَلَامًا فَأَبْهَجَنِي مَا ذَكَرَ^(٢)

ومن حسن الطالع، أن يكون المولود ذكراً، فقد عرف عن العرب محبتهم للمواليد الذكور، لما يرونه فيهم من سند ونصرة لهم، حيث بهم يقوى العضد، فهم نصرة للأهل والعشيرة، ومهابة للأعداء، والمبغضين، من هنا كان المولود ينتظر حتى يبلغ أشده، فنقر العين به، وتصفو النفس، وتزداد الأعداد، وتقوى به العشيرة في عزتها ومنعتها، فيقول أبو هلال العسكري^(٣).

قَدْ زَادَ فِي عَدَدِ الْكِرَامِ كَرِيمٌ مُحَضٌّ صَرِيحٌ فِي الْكِرَامِ ضَمِيمٌ^(٤)
عَالِي الْمَحَلَّةِ لَا يَزَالُ كَأْتِيهِ لِلْعِزِّ قَرْنٌ وَالسَّمَاكِ نَدِيمٌ
فَأَبْشَرَ فَقَدْ وَافَاكَ يَوْمُ رُزْقَتِهِ حَظُّ بَتْخَالِيدِ السَّرُورِ زَعِيمٌ
فَرَعٌ تَكْفَلُ دَهْرُهُ بِنَمَائِهِ حَتَّى يَكْرَّ الدَّهْرُ وَهُوَ أَرُومٌ^(٥)
إِنَّ الْهَالَالَ يَصِيرُ بَدْرًا كَامِلًا وَيَهْدُ سَدَّ اللَّيْلِ وَهُوَ بِهِيمٌ

() أبو هلال العسكري، الديوان، تحقيق: جورج قناز، المطبعة التعاونية، دمشق، ١٤٠٠هـ/١٩٧٩م، ص ٢٤٦.

() ابن المعتز، طبقات الشعر والشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثانية، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٩٦٨م، ص ٣٥٩.

() أبو هلال العسكري، الديوان، ص ١٩٨.

() محض: كل شيء خالص لا يشوبه شيء، مادة (محض)، ضميم، الشجاع وصاحب الخلق، مادة (ضمضم).

() أروم: ملتئم، مادة (رأم).

تفخر العرب بأنسابها كما تفخر بكثرة عددها، وبخاصة إن للعدد والقوة دوراً مهماً في الحياة العربية آنذاك، فتغدو القبيلة الكبيرة مهابة الجانب، محمية الحصون، تهابها القبائل الأخرى، لهذا فإن المولود الجديد مبعث فخر وعز لها، فلا بد لهذا المولود أن يصبح فارساً يزود عن قبيلته، ويصون حرمة المنازل والأهل، من هنا كان الشعراء يكثر من صور الحساد، ليصبح هذا الفارس الجديد محل بغضهم وكدرهم.

وتظهر معالم فرحة الأهل بمواليدهم منذ قدومهم إلى ختانهم وغطانهم، وحتى بلوغهم كما ذكرنا في تهنئة البحتري للمتوكل ببلوغ ابنه المعتز، وكانت هذه الفرحة تترجم أحياناً إلى أفعال، تبين مدى سعادتهم بهم، ومن ذلك ما قام به المتوكل من احتفال بمناسبة (ختان) ابنه المعتز، فقد أمر وزيره الفتح بن خاقان أن يلتبس في خزائن الفرش بساطاً لإيواء قصر البركور، الذي أقام به الاحتفال، وكان طول البساط مائة ذراع، وعرضه خمسين، وهو بساط مذهب مبطن، يقال: إن التجار قوموه بعشرة آلاف دينار، ووضع في الإيوان، ووضع للمتوكل في صدره سرير، مد بين يديه أربعة آلاف مرفع (كرسي)، مذهباً، مرصعة بالجواهر، وعليها تماثيل العنبر، والند والكافور^(١).

ولم يكتف بهذا فقد مدّت الموائد، وأحضر الأمراء والقواد، والندماء، فأجلسوا على مراتبهم، وجيء بأوعية مملوءة دراهم ودنانير نصفين، ووزع الغلمان الشراب، ودعوا كل من يشرب إلى أن يأخذ ثلاث حفنات أو ما حملت يده من ذلك المال، وأعتق المتوكل ألف رقبة، ونثر المتوكل على الجواري، وخدم الدار والحاشية عشرين مليون درهم، كما نثرت (أم المعتز) مليون درهم على المزين، ومن كانوا في جانبه من الغلمان^(٢)، فهذا الترف الكبير، والإسراف، والمبالغة في الأمر، احتفاء بختان ابن المتوكل (المعتز).

ويكبر الأطفال ويصلون إلى سن الفطام، هذه المناسبة التي يذكر فيها سلامة الطفل، وصحته، ومنها ما كتب إلى صديق، يهنئه بفطام مولود له، فيقول بعد الدعاء: وكل ما نقل الله الفتى وبلغه من أحوال البلوغ، ورقاه فيه درجات النمو، فنعمة من الله تلزم الشكر، وحق يجب

() الشابشتي، أبو حسن علي بن محمد، الديارات، كوركيس عواد، الطبعة الثانية، مكتبة المثني، بغداد، ١٩٦٦م، ص (١٥٠).

() الشابشتي، الديارات، ص (١٥٠).

قضاؤه بالتهنئة، وكتب إلي وكيلي المقيم ببابك يذكر ما وهبه الله من سلامته عند الفطام، وصلاح جسمه عند الطعام... (١).

ويبين الصاحب بن عباد، لما فطم عباد، ترسخ فيه المكارم، واستمرارها، وإن كان قد فطم عن الرضاع، فإنه لم يفطم عن المكارم، فيقول:

فُطِمْتَ أَيَا عَبَّادُ يَا ابْنَ الْفَوَاطِمِ فَقَالَ لَكَ السَّادَاتُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ:
لَنْ فُطِمُوهُ عَنْ رِضَاعِ لِيَانِهِ فَمَا فُطِمُوهُ عَنْ رِضَاعِ الْمَكَارِمِ (٢)

ولقد تعدت تهنئة الشعراء إلى جميع مراحل حياتهم التي مروا بها، فهنأوا في ختانهم، وفطامهم، وبلوغهم، مظهرين حالة المولود وفرحة أهله به، معبرين عن هذه الفرحة في كل مرحلة يمر بها المولود، بمعاني وأفكار تتناسب مع حالة السعادة التي تعتري ذويهم.

ولم تقتصر التهنئة بالإنجاب على المواليد الذكور بل تعدت إلى المواليد (الإناث)، ولكن بنسبة قليلة مقارنة مع التهاني التي قدمت بالمواليد الذكور، ولعلها نظرة قديمة ترسخت في نفوس الكثيرين في هذا العصر وغيره من العصور.

ومن أجمل ما قيل في التهنئة بالبنات، ما ورد خبره في كثير من كتب الأدب، مبيناً قدومها، ومحاسنها، ومكانتها، فقيل: أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء وأم الأبناء، وجالبة الأصهار، والأولاد الطهار، والمبشرة بإخوة يتناسقون، ونجباء يتلاحقون:

فلو كانت النساء كمثّل هذي لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيت لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهلال
فالدنيا مؤنثة، والرجال يخدمونها، والنار مؤنثة، والذكور يعبدونها، والأرض مؤنثة، ومنها خلقت البرية، وفيها كثرة الذرية، والسماء مؤنثة، وقد حليت بالكواكب، وزينت بالنجوم الثواقب،

() ابن قتيبة، عيون الأخبار، مجلد/٣، ص (١٧٠).

() الصاحب بن عباد، الديوان، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م، ص (٢٨٠).

والنفس مؤنثة، وهي قوام الأبدان، وملاك الحيوان، والحياة مؤنثة، ولولاها لم تتصرف الأجسام، ولا عرف الأنام، والجنة مؤنثة، وبها وعد المتقون، وفيها ينعم المرسلون... (١).

يبدو من خلال ما تقدم وكأنها حجج وبراهين، تدل على المكانة التي تحتلها الإناث، ولعل ورود الصفات، وكثرة الاستشهاد بالأمور المؤنثة التي نحتاجها، ولا نستطيع الاستغناء عنها، تتبع من الفكرة القديمة، وهي النظرة التي توجه للمولودة، مع المعرفة بعدم الرغبة بولادتهن بداية، وهي نظرة، وإن كان فيها جاهلية بعيدة عن روح الإسلام، الذي ساد هذا العصر، إلا أنها تظل من القضايا التي تعمقت في نفوس الكثيرين، وبقيت ثابتة عندهم.

حاول الشعراء من خلال التهاني التي قدموها بالمولودات الإناث، تقريبهن من المواليد الذكور، وعدم إنكار مكانتهن كما يشير إلى ذلك صاحب بن عباد، فيقول:

يَاكَ أَنْ تُنْكَرَ الْإِنَاثَ فَكَمْ أَنْثَى غَدَتْ فِي فِخَارِهَا ذَكَرًا (٢)

وهذا الشريف الرضي يهنئ أخاه بولادة ابنة له، هذه الابنة التي تنتمي إلى سلالة كريمة العرق، راسماً صوراً لمقدمها، وحسنها، لتغدو كالأهلة، داعياً لوالدها أن يحيا بها، فيقول:

| | |
|-------------------------------------|---|
| بمولد غراء أعطيتهَا | بُدُوَّ الْأَهْلَةِ بَعْدَ السَّرَارِ |
| أغارت على الحُسن أسبَابُهَا | فَأَسْبَابُهُ عِنْدَهَا فِي إِسَارِ |
| ولا عَجَبٌ أَنْ تَرَى مِثْلَهَا | وَزُنْدُكَ فِي كَرَمِ الْعِرْقِ وَارِي |
| نثرنَ عَلَيْهَا سِوَادَ الْقُلُوبِ | وَكَانَ الْهَنَاءُ فِي خِلَالِ النَّثَارِ |
| هَنَّاكَ بِهَا اللَّهُ مَا غَرَدَتْ | صُدُورُ الْقَنَافِ فِي أَعَالِي نِزَارِ |
| وأحيا بها لك مَيِّتَ الْعُلَى | وَأرْدَى بِهَا كُلَّ عَابِ وَعَارِ |
| وَذَلَّتْ عَمَائِمُ قَوْمِ بِهَا | كَمَا أَتَّهَاهَا شَرَفٌ لِلْخِمَارِ (٣) |

() الحصري، زهر الآداب، زكي مبارك، الطبعة الرابعة، ج/٣، دار الجيل، بيروت، لبنان، ص (٤٠٣)، وانظر: الثعالبي، بيتمة الدهر، تحقيق: مفيد قميحة، ج/٣، دار الكتب العلمية، بيروت، ص (٢٩٠)، وانظر الثعالبي، اللطائف والظرائف، الطبعة الأولى، دار المناهل، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص (١٨٠).

() الأصفهاني، محاضرات الأدباء، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، مجلد/٢، ص (٨٥).

* أخل به ديوان صاحب بن عباد.

() الشريف الرضي، الديوان، ج/١، ص (٤٩٨).

ومن أجمل صور المولودة أن تأتي برفقة أخ لها، فتكتمل الفرحة بهذه النعمة الوافرة وتستشرق بهما صدور الأسرة، ومن التهئة بتوعمين، قول أحدهم واصفاً إياهما بالشمس والقمر، فيقول:

وَحَصَّكَ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهَا بِنَوْعَمَ وَمِنْ ظُلُمَاتِ الْبِحْرِ تُسْتَخْرِجُ الدُّرَرَ
وَأَمْرَكَ أَضْحَى وَارِثاً عِلْمَ جَابِرٍ فَأَعْطَاكَ مِنْ أَلْقَابِهِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ^(١)

غدت التهاني بالمواليد في العصر العباسي ذات شأن وأهمية، حيث دأب الشعراء على تقديم أجمل الصور بمقدمهم، وإن كانت التهاني التي قدمت بقدم المواليد الذكور لها نصيب الأسد، من تلك التي كانت في قدوم الإناث، حيث ركزوا على بيان أثر مقدمهم في نفوس الأهل والخلان، وأشاروا إلى ظاهرة مهمة في تلك الأشعار التي قدموها، وهي بيان أثر قدوم المواليد على الحساد والمبغضين.

فشعر التهاني الذي قدمه الشعراء بالمواليد كان وسيلة لممدح آبائهم وأجدادهم، وبيان محاسنهم وصفاتهم الحميدة، والنظرة إلى المواليد بأنهم سيكونون أهلاً لهذه المحاسن في المستقبل، كما أنهم الأمل المرجو في تحقيق ما لم يستطع الأهل تحقيقه، ومما يمكن الإشارة إليه هنا أن الشعراء لم يكتفوا بالتهئة بقدوم المواليد فقط، وإنما تعدوا ذلك إلى التهئة بالختان والبطام والبلوغ.

() القلقشندي، صبح الأعشى، شرح يوسف علي طویل، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م، ص (٦٣).

التهنئة بالشفاء من المرض:

تعتبر التهنئة بمناسبة الشفاء من المرض، نمط من أنماط الصلوات المتبادلة بين الناس، حيث تختص بالسؤال عن حال المريض، والدعاء له بالشفاء العاجل، كما يبين الشعر حالة المريض، وما كان عليه من الآلام والأوجاع، ويلقي هذا النوع من الأشعار على جانب من جوانب الحياة الاجتماعية السائدة في العصر العباسي فهو يعبر عن مظهر من المظاهر التي كان المجتمع يعيشها، كما نص الحديث الشريف عليها، حيث ورد في أقوال المصطفى صلى الله عليه وسلم أن عيادة المريض من حق المسلم على المسلم، وكما أن المتحابين يتبادلون الزيارة في حال الصحة، كانوا في الوقت نفسه يعودون بعضهم إذا طرأت عليهم الأدواء، وأصابتهم العلل على اختلافها، والحق أن كثيراً من هذه العلل كانت تفتك في عضد المريض وتقعده الفراش، فيجتمع أصحابه من حوله يستنهضونه تارة، ويسرن عنه أخرى^(١).

ومن آداب عيادة المريض، ألا يطيل المكوث عنده، ومما جاء في هذا قولهم: إذا دخل العواد على الملك فحقهم أن لا يسلموا عليه، فيجوجه إلى رد السلام ويتعبوه، فإن علموا أنه لاحظهم دعوا له وانصرفوا^(٢).

ويظهر في التهنئة التي قدمت بالشفاء من المرض، بيان أثر الدواء على المريض، والأجر في صبره على الألم، حيث يبين ذلك ابن المعتز في رسالة كتبها إلى صديق له اعتل: أذن الله شفاءك، وتلقى داءك بدوائك، ومسحك بيد العافية، ووجه إليك وافد السلامة، وجعل علتك ماحية لذنوبك، ومضا عفة لثوابك^(٣)، ومنها ما يقدمه الثعالبي في تهنئة خوارزمشاه بالشفاء، موضحاً أثر الدواء الذي يشد من عزمه، فيقول^(٤):

يا سيدياً حاز طبعهُ الشرفاً ولم يدع منه للورى طرفاً
لما أخذت الدواء فالطالعُ سَعِدُ على العزم منك فقد وقفا

(١) أنظر، محمد الدروبي، الرسائل الفنية في العصر العباسي، ص (٢٨١).

(٢) الأبيشي، المستطرق في كل فن مستطرق، شرح مفيد محمد قميحة، ص (٥٦١).

(٣) أبو بكر الصولي، أشعار أولاد الخفاء وأخبارهم من كتاب الأوراق، ج. هيورت، دن، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م، ص (٢٩٠).

(٤) الثعالبي، الديوان، تحقيق: محمود عبد الله الجادر، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٠م، ص (٨٧-٨٨).

جلوت سيف العُلا وصفيت تبي — رَ المجد والعيش مثل ذلك صفاً
لا زلت تحسو السرور في مهل — وتنفضُ الهمَّ عنك والـدنفاً^(١)
وهذا المتوكل يمرض، ثم يتعافى، ليدخل الناس يهنتونه بالإبلال من مرضه، ويدخل
إبراهيم بن المدبر، مهنتاً بسلامته، مبيناً أهمية سلامته كرمز لنصرة الدين، ورحمة للعالمين،
وضياء يستنار به، فيقول إبراهيم بن المدبر^(٢):

اليومَ عادَ الدِّينُ غَـ _____ ضَّ العُودُ ذا ورق نَـ ضير
يا رَحْمَةً للعالمية _____ ن، ويا ضِياءَ المُـ سْتِير
يا حُجَّةَ الله التـي _____ ظَهَرَتْ لهُ يهُدى ونُور^(٣)
ومن الأمور التي يظهرها الشعراء في تهنئتهم من المرض، بيان أثر سلامة ممدوحهم
على كل ما يحيط بهم، كما صورها المتنبي في تهنئة لسيف الدولة بسلامته بعد أن عوفي من
مرض، فيقول^(٤):

المجدُ عوفي إذا عوفيتَ والكرمُ _____ وزالَ عنكَ إلى أعدائك الألمُ
صَحَّتْ بصحَّتِكَ الغاراتُ وابتهجتْ _____ بها المكارمُ وانهلَّتْ بها الدِّيمُ^(٥)
وراجعَ الشمسُ نورٌ كان فارقها _____ كأثما ففدُهُ في جسمها سَقَمُ
ولاحَ برقكَ لي من عارضي ملكٍ _____ ما يسقطُ الغيثُ إلا حين بيتسمُ
تقرَّدَ العُربُ في الدنيا بمَحْتَدِهِ _____ وشاركَ العُربُ في إحسانِهِ العَجَمُ
وأخلصَ اللهُ للإسلام نُصْرَتَهُ _____ وإنْ تَقَلَّبَ في آلائِهِ الأَمَمُ
وما أخصاكَ في بُرءٍ بتهنئةٍ _____ إذا سَلِمْتَ فكلُّ الناس قد سَلِموا^(٦)

() دنف: اشتداد المرض على صاحبه.

() أبو إسحاق إبراهيم بن المدبر، شاعر وكاتب متقدم، في وجوه كتاب أهل العراق، وذوي الجاه، كان المتوكل يقدمه ويفضله، استوزره المعتمد، توفي ببغداد سنة (٢٦٩هـ)، الأغاني، مجلد/٢٢، ص (١٥١ وما بعدها).

() يونس أحمد السامرائي، شعراء عباسيون، الطبعة الثانية، ج/١، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ص (٣٨٣).

() المتنبي، الديوان، ج/٢، ص (٧٥٤).

() الديم: تتابع نزول المطر، مادة (دام).

() برء: شفى وتخلص من مرضه، مادة (برى).

فالمتنبي لا يكتفي بتهنئة بالسلامة من المرض، ذلك أن سلامة سيف الدولة هي سلامة للمجد نفسه، إلا أنه يمثل تلك القيم الجميلة التي كانت قد انقطعت عن بلاد الكفر لعلته، واتصلت واستمرت بعد شفائه، لتصبح كأنها كانت عليلة بعلته، ثم صحت بصحته، وسرت المكارم بعافيته واتصلت الأمطار بعد انحباسها، وعاد نور الشمس، وكل ذلك صح بعد أن شفي سيف الدولة، صاحب العطايا والكرم، فهو ناصر لإسلام، ولا ينصر غيره من الأديان، فبكل هذا يهنئ المتنبي الناس بسلامة سيف الدولة لأن بسلامته يسلم كل الناس.

وفي موقع آخر، يبين المتنبي أثر علة سيف الدولة على كل من الأرض، والناس، وحتى البأس والكرم، وأنها لا تشفى إلا بصحته، فيقول:

إذا اعتلّ سيفُ الدولةِ اعتلّت الأرضُ ومَنْ فوقها والبأسُ والكرمُ المَحْضُ
وكيف انتقاعي بالرقادِ وإمّا بعلّته يعتلُّ في الأغين الغمضُ
شفاكَ الذي يشفي بْجُودك خَلْقَهُ فأئك بحرُّ كلِّ بحرٍ له بعضُ^(١)

ومن الأمور التي كان لها حضور في شعر التهاني بالشفاء، عملية (الفصد)، والتي هي عبارة عن إخراج الدم الفاسد من الجسم، عن طريق عملية جراحية، لتعمل على تنشيط الجسم، فقد وصف الشعراء هذه العملية التي كانت تجرى لبعض الخلفاء، أو الأمراء أو الأصدقاء، وصفاً دقيقاً، كما أنهم يذكرون المواد المستخدمة فيها، مثل العصائب، والطست، والسكين الحادة، ويبدو أن هذه العملية كانت شائعة في العصر العباسي، يقوم بها شخص متمرس، يختار الوقت المناسب لها، والعضو المناسب من الجسم أيضاً.

ومن الأمور التي رصدها شعر التهئة، وعمل الشعراء على إظهارها، تقديم الهدايا، ليكون تقديمها وسيلة في توثيق أوصر الصلة والمحبة، لتشييع في العصر العباسي هذه الظاهرة (الهدايا) وبخاصة للذين يقومون بعملية الفصد، حتى يذكر الوشاء كثيراً من الهدايا التي كانت

() المتنبي، الديوان، ج ٢، ص (٧٥٣).

تقدم للمفتصد لدرجة أن القيان أصبحن يصطنعن العلة أو الفصد للحصول على الهدايا الكثيرة من عشاقهن من الحلبي والملابس والعطور، فقال: (١)

فتفصد لا من حاجة لفصاها ولكن لتكليف الهدية في الفصد
فمن بين خلخال يُصاغ وخاتم ومن دملج يهدى على أثر العقد (٢)
حتى يظهر تقديم الهدية أحياناً في عملية الفصد، كأنها عرف لا بد للقيام به، وفي هذا يقول عبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٣) شاكياً حبيبته في عدم إهدائها له بعد عملية فصد قام بها، فيقول:

حبيبي فصدت العرق من أجل علة فلم تهدي لي فيه وصالاً مجدداً
فأهديت نفسي يوم فصدي بوصلها إليك فخذاً كي تكون لك الفدا (٤)
وقد امتازت الهدايا التي كانت تقدم للمفصودين بغلائها أحياناً وبخاصة إن كان المفتصد خليفة أو أمير، فقد قيل: لما افتصد المعتصم، وأهديت إليه شمائل صينية عقيق، عليها قدح، أسبل عليها منديل وطيب، مكتوب عليه بالعنبر، في كل ربع منه بيت شعر:

خضب الخليفة كفه من فصده بدم يُحاكي عبرة المُشتاق
تاه الفصاُ مما يُقام لتيهه إذ صار مُفتصداً أبو إسحاق
وتوافقت العيدان عند حضوره قُبَّ البطون ذوابل الأعناق
ملك إذا خطر الشرابُ بباله ليس السرورُ غلايل الإشراق (٥)

() الوشاء، أبو الطيب محمد بن إسحاق، الموشى أو الظروف والظرفاء، ج٤، دار صادر، بيروت، ص (١٢٠)، وانظر: الأقطر، واجدة مجيد عبد الله، المرأة في أدب العصر العباسي، دار الرشيد، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م، ص (٢٦١).

() دملج: سوار يحيط بالعضد.

() عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين، ويكنى أبا أحمد، له محل من الأدب، ورواية الشعر وقوله، والعلم باللغة وأيام الناس، توفي في بغداد سنة (٣٠٠هـ)، الأغاني، مجلد/٩، ص (٣٩).

() الأصفهاني في محاضرات الأدباء، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، مجلد/٢، ص (١١٢).

() الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص (٢٤٢).

فأثارت هذه الأبيات في نفس المعتصم، وأمر بإحضار إسحاق بن إبراهيم الموصلي،
ليجعل لها لحنًا، وغنتها شمائل، فأمر لإسحاق بمال، وللجارية بخمس وصائف، وخمس آلاف
دينار^(١).

قد يلجأ الشعراء في عملية الفصد، إلى وصف العملية نفسها، وبيان الأدوات المستخدمة
فيها، كقول ابن المعتز موضحاً استخدام الأدوات الحديدية في هذه العملية، فيقول:

ليس ما حلّ بالحديد من الكس ——— وتتلّيم حده بعجيب
عجبي إذا مددت للفصد كفاً كيف لم ينصدغ فؤاد الطبيب^(٢)
فالشاعر يتعجب من فصد الكف التي لم ينصدغ قلب الطبيب منها، وليس التعجب من
الحديد وتلّيمه، فالعجب كيف أن قلب الطبيب لا يحزن ولا يجزع من رؤيته لعملية الفصد، ولا
يتأثر بها، كما يقدم الشعراء المديح والثناء على الفصّاد الذين يقومون بهذه العملية، موضحين
قدرتهم، وقوة طبعمهم، كقول كشاجم يمدح طبيباً:

كأنه من نـصيحة وثقى لفسه دون غيره فأصد
إن جمد الطبع حلّ منه فإن ذاب انحلالاً أعاده جامد^(٣)
وقيل أنه لما افتصد المأمون، أهدت إليه (رباح) أترجة عنبر عليها مكتوب بماء الذهب
أبيات توضح أهمية هذه العملية في تخلص الجسم من دائه:

تعالج من هويت بفسد عرق فأضحى السقم في خلع الخضوع
وجاءت تحفة الأحباب تسعي بورد فائض فيض الدموع^(٤)
إن زيارة المريض في العصر العباسي، من العادات الاجتماعية التي كانت سائدة آنذاك،
يرافقها في كثير من الأحيان تقديم الهدايا، التي قد تكون من المأكولات، والفواكه، والحلوى، أو

() المصدر السابق نفسه، ص (٢٤٢).

() ابن المعتز، الديوان، تحقيق: يوسف شكري فرحات، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان،
١٤٢٥هـ/١٩٩٥م، ص (١٠٢).

() كشاجم، الديوان، تحقيق: عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، مطبعة المدني، القاهرة، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م،
ص (٩١).

() الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص (٢٤٣).

الزهور، أو قد تكون هدية معنوية، كتقديم قصيدة يهنئ صاحبها المريض بشفاؤه، ويقدم الدعاء له، ومنها ما قدمه أبو بكر الصولي إلى ابن الأشعث وكان قد افتصد، ليقدم له المديح كهدية عالية القيمة فيقول:

سـبقت إلى فـصدّة شـافية فأعقب في سـبـقك العافية
وبادر بـرك أهل الثراء فجاءت هـداياهم غادية
وراحت لنا مدحة لم تزل بمثلـك أمثالها عالية
جرى الدم من راحة لم تزل بأنعمها سـمـة جارية
وهذي هدية من لم تكن دراهمـة جمـة وافية^(١)

وهذا شاعر آخر يجعل من الدعاء أتم هدية يقدمها الصديق إلى صديقه بمناسبة افتصاده، فيقول:

توثّق من ثنائـك في الهدايا غداة أردت فضـل الباسـئيق
فلم أر كالـدعاء أتمّ نفعاً وأجمل في مكافأة الصديق
وأكثرت الدعاء وقلت: ربّي يفيك شـرور آفات العروق^(٢)

وهذا ثالث لا يملك ما يقدمه للمريض إلا التوجه إلى الله بالشكر، فيقول:

على طيب أيام التمتع بالورد فصدت فأصبحت السـلامة في القـصد
ولا زالت، لا زالت من الله أنعم عليك قرير العين، مُغتبط الحـسد
لقد رمت جهدي طرفة وهدية إليك، فكان الشـكر أكثر ما عندي^(٣)

ويظهر الشعراء في تهنئتهم بالشفاء، ما تحصل جراء هذه العلة من نعمة الأجر، وموهبة الثواب، وهما أشبه بمكافأة نالها المريض كجزاء صبره وتحمله، وذلك في جعل العلة ماحية

() الصولي، أخبار الشعراء المسمى كتاب الأوراق، جمعه: ج. هيوارث د.ت، د.ت، ص (٢٤٧).

() الجاحظ، المحاسن والأضداد، ص (٢٤٥).

() المصدر السابق نفسه، ص (٢٤٥).

للذنوب، ومضاعفة للثواب حيث يقول مروان بن أبي حفصة، وقد مرض عمرو بن مسعدة^(١)، وكان قد أبل من مرضه، مبيناً ما حصل عليه من الأجر جزاء لتحمله المرض، فيقول:

صَحَّ الْجَسْمُ يَا عَمْرُو لَكَ التَّمْحِيصُ وَالْأَجْرُ
وَاللَّهُ عَلَيْنَا الْحَمُّ ذُ وَالْمَتْنَةُ وَالشُّكْرُ
فَقَدْ كَانَ شَكَاشُوقًا إِلَيْكَ النَّهْيُ وَالْأَمْرُ^(٢)

ودخل مسلم بن الوليد على عمرو بن مسعدة يحثه على الصبر على العلة، لأن له بذلك فضلاً، فقال:

قالوا أبو الفضل محمومٌ فقلت لهم: نفسي الفداء له من كلّ مخذور
يا ليت علتّه بي غير أنّ له أجر العليل وأتّي غير مأجور^(٣)
وفي جزاء الله للمعتل في كربته، يبين إبراهيم بن العباس ذلك في قوله لمحمد بن الزيات، فيقول:

وَإِذَا جَزَى اللَّهُ امْرَأً بِإِخَائِهِ فَجَزَى أَخَا لِي مَا جِدَا سَمْحًا
نَادَيْتُهُ عَن كَرْبَةٍ فَكَأْتُمَا نَادَيْتُ عَن لَيْلٍ بِهِ صُبْحًا^(٤)

وفي بيان أثر مرض العليل على الناس، وبخاصة إن كان من أصحاب السلطة والنفوذ، ما قاله أشجع السلمي، حينما اعتل يحيى بن خالد، ثم صح، فدخل الناس يهنتونه بالعافية، ودخل أشجع مبيناً أن هذه العلة لم تصب المريض وحده، وإنما أصابت أصحاب قلوب محبيه، ليظهر مكانته وجوده، وذلك بأن الموت إذا أخطأه فلا يباليون به بعد ذلك أصاب من، فالمهم أن يسلم يحيى بن خالد دون الناس، فيقول:

لَقَدْ قَرَعَتَ شَكَاهُ أَبِي عَلِيٍّ قُلُوبَ مَعَاشِرٍ كَانَتْ صَحَاحًا

() عمرو بن مسعدة بن سعد الصولي، كنيته: أبو الفضل، كان من كتّاب المأمون، ومن أصحاب الفضل والبراعة في الشعر، كان بليغاً، وأحد وزراء المأمون.ت(٢١٧)،وفيات الأعيان،مجلد٣،ص(٤٧٥).

() مروان بن أبي حفصة، الديوان، تحقيق: أحمد عدرة، ص (٥٧).

() مسلم بن الوليد، الديوان، سامي الدهان، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، د.ت، ص (٣٢٣).

() إبراهيم بن العباس الصولي، الديوان، أحمد جمال العمري، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٠م، ص (١٩٢).

فإن يَدْفَعُ لنا الرَّحْمَنُ عنهُ صرُوفَ الدَّهْرِ والأجَلَ المُتَاحَا
 فقد أمسى صلاحُ أبي عليٍّ لأهل الدِّينِ كلَّهم صَلاحَا
 إذا ما الموتُ أخطأه فلَسنا نُبالي الموتَ حيثُ غدا وراحا^(١)
 كما يظهر الشعراء في هذه المناسبة أهمية الدواء وأثره في شفاء العليل، ومنها قول أشجع
 السلمي حينما شرب محمد بن منصور الدواء، وإعقاب السلامة في الدواء، مستغرقاً في الأدعية
 له، فيقول:

أصحَّ اللهُ جَسْمَكَ ذُو العَلاءِ وأعقبَكَ السَّلامَةَ في الدَّواءِ
 وأبداكَ الإلهُ بِهِ صَلاحَا وعافيةً تُمَحِّقُ كُلَّ داءِ
 وأبَسَكَ المليكُ رِداءَ عُمُر على الأيامِ ممدودَ البقاءِ
 شفاكَ اللهُ طَواويءَ كُلِّ سَقَمٍ فإنَّ العيشَ في بِشرِ الشِّفاءِ^(٢)

إن التهانى بالشفاء مظهر اجتماعي حرص الشعراء على تقديمه في العصر العباسي من
 خلال الأشعار التي قدموها، موضحين ما كابده العليل من الألم، وما ناله من الأجر جراء
 تصبره وتحمله، ليغدو المرض وكأنه طهر من الذنوب، إذ كان يقال للرجل إذا قام من مرضه،
 (لتهنك الطهرة)^(٣)، وكان المرض غسله فطهره، والتهانى بالشفاء يعد نمطاً من أنماط الصلوات
 المتبادلة بين أفراد المجتمع، ليظهر في هذه التهنئات مشاعر المهنيين وخطاتهم الكامنة تجاه
 العليل، والدعاء له بالشفاء، والعودة إلى ممارسة حياته الطبيعية، كما يشيع في هذه المناسبة تقديم
 الهدايا التي تعد مظهراً من مظاهر الألفة والمحبة، لتأخذ أشكالاً مختلفة، فقد تكون مادية
 كالمأكولات، والورود، أو معنوية، كتقديم المدح، والدعاء، وشكر الله على السلامة.

التهنئة بالقدم من السفر:

اهتم الأديباء بأدب التهانى - ليحظى القادمون من السفر بنصيب ما أبدعه الشعر من
 تصوير حسن مقدمهم، وحميم لقائهم، وحرارة التهنئة بعد معاناة مرارة الفراق، وألم البعد،
 بسلامة العائد، وحسن مقدمه الذي ابتهج له المحبون، وإظهار أهمية تواجده ومكانته بينهم،

() أشجع السلمي، الديوان، ص (٢٠١).

() المصدر السابق، ص (١٨٥).

() الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ج/٤، ص (٤٠٨).

وبخاصة إن كان من الخلفاء، أو ذوي الشأن والمكانة، لتنهال عليه التهاني كأنه يال العارض على الأرض الجرداء.

ولا يبعد في أن تكون التهاني بالقدوم من السفر مقرونة بالدعاء، وشيء من الثناء، وذكر بعض الإنجاز والآمال، وتصوير العائد بأحسن الأحوال، وأيمن الطالع، كما نجد ذلك في تهنئة ابن الرومي للقاسم بن عبيد الله وقد قدم من بعض أسفاره، فيقول^(١):

قدمت قدومَ البدر بين سُعودِهِ وأمركُ عال صاعداً كصعودِهِ
لبستَ سناهُ واعتليتَ اعتلاءهُ ونأمل أن تحظى بمثلِ خلُودِهِ
وأقبلت بحرأ زاخراً في مُدُودِهِ على متن بحر زاهر في مدودِهِ
وأقسمُ بالمُعَلِّيكِ قدراً ورتبةً لجوذكُ بالمعروفِ أضعافُ جودِهِ
فهنأك اللهُ السَّلامَةَ قادمأ برغم مُعادي حَظِّكم وحَسُودِهِ
فأعرضُ عنأ كلُّ شرٍّ بوجههِ وأقبل وجهُ الخير بعد صدودِهِ
فزاد مُصلينا بكم في رُكُوعِهِ وزاد مُصلينا بكم في سجدودِهِ
إليكمُ رأى الراجي مَشَدَّ قُتُودِهِ وفيكم رأى الساري محطَّ قُتُودِهِ^(٢)
وقد كان تأميلُ النفوس مُقيِّداً فأطلقنمُ تأميلها من قيودِهِ

فقدوم الممدوح من السفر، كقدوم البدر، وإقباله كإقبال البحر زاخراً بالعطايا والكرم، بل يتعدى جوده إلى أضعاف ما يوجد به البحر، ليكون مقدمه طعنة للحاسدين، وطرداً للشور والمصائب، بهذا الخير الذي أقبل بعد غياب، مما جعل الناس تنزید في الصلاة والشكر احتفاءً بقدومه فالمرجؤ يقصده، والساري يحط ركابه عنده، فهو مصدر لبعث الأمل وإطلاقها من قيودها.

في حين يرى الشاعر الشريف الرضي في أن قدوم ممدوحه بشرت به كل المعاني الجميلة فيقول^(٣):

() ابن الرومي، الديوان، ج/٢، ص (١٩١-١٩٢).
() القتود: خشب الرحل "كناية عن الناقة"، مادة (قتد).
() الشريف الرضي، الديوان، ج/٢، ص (٤٣٤-٤٣٥).

قَدِمَ السَّرُورُ بِدُمَمَةٍ لَكَ بَشَّرْتَ
 وَأَتَى الزَّمَانَ مُهَيَّئًا يَحْدُو بِهِ
 قَد كَانَ هَذَا الدَّهْرُ يَلْحَظُ جَانِبِي
 فَالآنَ حِينَ قَدِمْتَ عُنْدَ صُرُوفِهِ
 يَا مُنْتَهَى الأَمَالِ بَلْ يَا مُحْتَوَى الـ
 يَا أَفْضَلَ الفُضَلَاءِ بَلْ يَا أَعْلَمَ الـ

فالشاعر يشير إلى أهمية هذا القدوم الذي بشر به كل جميل، فهو قدوم هنا الزمان به، ليصبح قدومه كما الغل الذي يحمله المشوق واللهفان إلى موعد اللقاء، ليقابل الشاعر بين الحال قبل قدوم ممدوحه، والحال بعد قدومه، فقد كان الدهر قبل مجيئه ضنكاً صعباً، كالأسد المصاب بالجوع والعطش، ليتبدل الحال بقدومه، ويصبح الدهر كأنه غزال هادئ، ويخلع الشاعر على ممدوحه صفات عدة، فهو غاية الأمل، وأشجع الشجعان، وهو الأفضل في كل شيء، لذلك يكثر الشاعر من استخدام صيغ التفضيل.

وهذا عضد الدولة يقدم من سفرة قام بها، فيستقبل أشرف استقبال وأجل رجوع، فتفرش الأرض احتفاءً بمن قدم، وسط تذلل وإنحاء الرقاب تقرباً لعضد الدولة، لتغدو عز هذه الرقاب في تذللها للممدوح، فيقول في ذلك الصابي^(٣):

أهلاً بأشرف أوبيةٍ وأجَّهها
 فرشت لك التراب التي باشرتها
 لم تخط فيها خطوة إلا وقد
 وإذا تذلت الرقابُ تقرباً

وللقدوم أشكال مختلفة، تتم عن الخير والسعادة لهذا القدوم المبهج، فيسير الخير بمحاذاة من قدم، وتهل الخيرات بإقباله، ومنها ما يصوره محمد بن عبد الله الأخطل في قدوم أحدهم،

() غرر العلى: الغرر مفردا غرة، وهي كل شيء أحسنه.

() الساغب: الجائع.

() ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، المجلد/٤، ص (١٨٢).

() أوبية، الرجوع والقدوم، مادة (أب).

بإقبال السحاب المطل، والمحمل بالأ مطار الغزيرة، ليقدم الشاعر ممدوحه بأبهى الصور وأعمها للخير، فيقول^(١):

أقدمُ قدمتَ قدومَ عارضِ مُزنَةٍ يهتـزُّ بينَ أهـابها الفـضـفـاضِ
مـن كلِّ مـثـعـبـة الـريـاحِ ثـقـيـلـةٍ تمشي به مشي الوجى المنهاض^(٢)
مُسودة مبيضة فكأنها وهمّ مولوعة الشوى ببياض

ويشير الشعراء فيما قدموا من تهاني بالقدوم من السفر، إلى حسن الطالع، واليمن في هذا المجيء الذي يبعث الغبطة والسرور، لينسخ به كل حزن، ويغدو بمقدمه وكأنه قمر يزف، كما يشير إلى ذلك ابن الرومي في قدوم المعتضد بالله، الذي تشد أركان الملك به وتتعاقد، فيقدم كهبوب النسيم ينشر الروائح الذكية، مطوقاً بالسلامة التي تظله وتحميه من كل مكروه، فيقول:

قدومُ سعادةٍ وفولٍ يُمن هي السراءُ تـنـسـخُ كلَّ حـزـن
بدا قمرُ البهاءِ يُزفُ زفاً ورُكنُ الملكِ معضوداً برُكن
وهبَّ نسيمُه وذكا ثناه فيا لله من طيبٍ وحُسن
أظنُّهُ السـلامـةُ ما تـعـنـت مطوِّقـةُ ترنمِ فوق غـصـن^(٣)

وهذا محمد بن وهيب الحميري يعبر عن إحساسه تجاه قدوم المطلب بن عبد الله بن مالك الخزاعي، بكثرة الدعاء له في غيابه، مشفقاً على حرة غيابه الذي يكتمه، منتقلاً إلى بيان محاسنه من الجود الذي يحل حيثما نزل، والندى الذي يسكن حيثما يقيم، مظهرًا مشاعره تجاه ممدوحه بتلك الفرحة التي يحملها قدومه، ولقائه الحميم، فيقول:

وما زلتُ أسترعي لك الله غائباً وأظهرُ إشفاقاً عليك وأكرمُ
وأعلمُ أن الجودَ ما غبتَ غائبٌ وأن الندى في حيث كنتَ مخيمٌ
إلى أن زجرتُ الطيرَ سعداً سوانحاً وحُمَّ لقاءً بالسعودِ ومقدمُ

() أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، ج/١، ص (١٦٥).

() مثعبة، متفجرة، مادة (ثعب)، الماء والدم ونحوهما، ثعباً، فجره فسال.

() ابن الرومي، الديوان، ج/٦، ص (٢١٢).

فَظَلَّ يَنَاجِيَنِي بِمَذْحِكِ خَاطِرٍ^(١) وليلي ممدودُ الرواقين أدهم^(١)
التهاني بالسلامة من السفر من المناسبات الاجتماعية التي كانت سائدة في العصر
العباسي، حيث إن العائد يستقبل بحالة تملؤها الغبطة والسرور، وذلك بعودته سالماً معافى،
ليظهر الشعراء العباسيون معاني حميمة في عودة الغائب، من بيان مكانته التي يتبوءها،
ومحاسنه التي غابت بغيابه، وحضرت بقدمه، مقرنين سلامته بصفاته الحميدة التي يتحلى بها.

التهنئة بالمسكن:

كان العهد العباسي أزهى عصور الحياة العربية، إذ لقيت من جهة قلوباً متعطشة إلى
الرفي، ومن جهة أخرى اندفاعاً ثقافياً جارفاً، وتمازج عنصري كان منه جيل جديد ذو أخلاق
وعادات جديدة، وثروة طائلة تجلت في القصور والملابس والأثاث، كما تجلت في حياة اللهو
والبذخ^(٢).

ومن مظاهر هذه الحياة المترفة، والثروة الطائلة، بناء القصور والتفنن بها، حيث أكثر
الخلفاء العباسيون من بناء هذه القصور، والمبالغة بها، حتى أنه يذكر بأن القصور في عصر
المتوكل قد بلغت عشرين قصراً، وكان كلما بنى قصراً أتبعه بآخر، ومن أسمائها (الجوسق،
المختار، الجعفري، الغريب، البديع، الصبح، المليح...، وبلغ ما أنفقه على تلك القصور مائتين
وأربعة وسبعين مليوناً من الدراهم^(٣)، كما كان الوزراء أيضاً يعيشون في هذا النعيم نفسه، لما
كانوا يأخذونه من رواتب ضخمة، وإقطاعات، وما كانوا يختلسونه لأنفسهم من أموال الدولة،
وبطبيعة الحال لا يمكن أن نقول إن هذه الصورة تمثل تماماً طبقات المجتمع العربي آنذاك
بجميع أفراده في هذا العصر، ولكنها على أية حال تعطينا فكرة واضحة عن تيار وجد في هذا
المجتمع، ولعله أثر في أغلبية أفراده على تفاوت هذا التأثير بينهم^(٤).

() ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، مجلد/٤، ص (١٨١).

() أنظر: حنا الفاخوري، الجامع في تاريخ الأدب العربي، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٩٨٦م،
ص (٥٢٢ - ٥٢٣).

() الشابشي، الديارات، كوركيس عواد، الطبعة الثانية، مكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٦م، ص (١٥٩).

() أنظر، أبو الحسن بن هلال الصابئ، الوزراء، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد
فراج، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٨م، ص (٢٨٢)، وما بعدها.

ومن القصور التي اشتهر بها الخلفاء العباسيون، ما بناه المعتضد من قصر شامخ كبير، ومن حوله البساتين والرياض، وقد صوره ابن المعتز تصويراً رائعاً، فهو يراه بأنه خير المنازل، معمور بأهله الذين يسكنوه، لا يشبه أي بيت، سواء من فعل البشر، أو ليتعدى إلى صنع الجن، فهو محاط بأنهار تتابع مياهها، لتسقي الحدائق والأشجار والزهور، والطيور مغردة على أشجارها، تنتقل بحرية وأمان، فيقول:

سَلِمْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الدَّهْرِ وَلَا زَلْتَ فِينَا بَاقِيًا وَاسِعَ العَمْرِ
 حَلَلْتَ التَّرِيَّا خَيْرَ دَارٍ وَمَنْزِلٍ فَلَا زَالَ مَعْمُورًا وَبُورِكَ مِنْ قِصْرِ
 فَلَيْسَ لَهُ، فِيمَا بَنَى النَّاسُ مُشَبَّهٌ وَلَا مَا بَنَاهُ الْجِنُّ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
 وَأَنْهَارٌ مَاءٍ كَالسَّلَاسِلِ فُجِرَتْ لِثُرُضِعِ أَوْلَادِ الرِّيَّاحِينَ وَالزَّهْرِ
 جِنَانٌ، وَأَشْجَارٌ تَلَاقَتْ غُصُوبُهَا فَأَوْرَقَتْ بِالْأَثْمَارِ وَالوَرَقِ الخُضْرِ
 تَرَى الطَّيْرَ فِي أَغْصَانِهِنَّ هَوَاتِفًا تَتَّقَلُّ مِنْ وَكْرٍ لَهْنًا إِلَى وَكْرٍ^(١)

من القصائد الطوال التي قيلت في تهنئة بدار جديدة، ما قاله ابن الرومي يهنئ علي بن محمد بن الغياض بدار بناها، مشيراً إلى مكانتها، والمواد المستخدمة ببناها، والحدائق من حولها، والتحف بداخلها، فينظر ابن الرومي إلى أهمية هذه الدار فهي مكان أمن واستقرار، شاهد على نبلمهم ومجدهم وعلوهم، فيقول:

دَارٌ أَمْنٌ وَقَرَارٌ وَاعْتِلَاءٌ وَاقْتِدَارٌ
 وَمَعَاوَاةٌ وَشَوَاكِرٌ لَا أَبْتِلَاءٌ وَاصْطِبَارٌ
 مَنْزِلٌ يَشْهَدُ بِالسُّنْدِ نَبْلٌ كَبِيرٌ لِكَبِيرِ
 لَمْ يَزَلْ يُبْنَى بِنَاءَ الْخَيْرِ مَجْدٌ مَرْفُوعٌ الْمَنْوَارِ
 خَيْرٌ دَارٌ حَلَّ فِيهَا خَيْرٌ أَرْبَابِ الدِّيَارِ^(٢)

ويبين الشاعر المواد التي استخدمت في بناء هذه الدار، ليدل على فخامتها وعظمتها، فهي مصنوعة من المرمر والتبر، وأخشابها قد جلبت من الهند، وهي مطيبة بعيدان من الطيب،

() ابن المعتز، الديوان، ص (٢٩٩).

() ابن الرومي، الديوان، ج/٣، ص (٤٩).

بالإضافة إلى الجبس الذي تم اختياره بعناية حتى غدت هذه الدار مشرقة، كأن ليلها أصبح
نهاراً، فيقول ابن الرومي^(١):

بُنِيَتْ بِالْمَرْمَرِ الْمَسْسِ نُونٌ وَالتَّبْرِ التُّضَارِ
وَلِبَابِ السَّاجِ لَا بِلَلِ بَيْلُنْجُوجِ الْقَمَّارِي^(٢)
وَاكَتَسَتْ ثُوبَ بِيضِاضِ لَيْلُهُ مِثْلُ النُّهَارِ
ذَاتُ لَمْعٍ وَاتِّضَاحِ فَهِيَ مِنْ نُورٍ وَنَارِ
أَلْسِيسِ الزَّرَّيْنِ وَالْحَبِيبِ سِينِ مِنْ بَعْدِ اخْتِيَارِ

ويستمر ابن الرومي في وصفه لهذه الدار، فهي محاطة بالجنان والحدائق فتغدو هذه
البساتين مزينة بالزهور والأشجار المثمرة، حتى أغصانها، كأنها أوصال العذارى، ولم يكتف
الشاعر بوصف المظهر الخارجي لهذه الدار، وإنما تعدى إلى داخلها، فيصف صحن الدار وما
تحويه من ميزات، وما اكتسته من لباس وهيئة حسنة، ومن تتجيد وفرش، وما فيها من تماثيل
مختلفة الأشكال والأحجام، ليظهر الشاعر بأن جمال الدار الخارجي لا يقل عن جمالها الداخلي،
فهي مكتملة خارجياً وداخلياً، فيقول^(٣):

ذَاتُ بِيضَاتَيْنِ قَدْ زِيَّتْ نَا بِنُورٍ وَثَمَارِ
فِي غُصُونِ نَاعِمَاتِ مِثْلِ أَوْصَالِ الْعَذَارِي
بِمَنْعَانِ كَالرَّوَّاسِي وَصَحَّاحَانِ كَالصَّحَّارِي
وَحَكَاهَا فِي سِنَاءِ مَا اكَتَسْتُهُ مِنْ شَوَارِ^(٤)
نُجَّدَتْ مِنْ خَيْرِ نَجْدِ مَلَكَتْ أَيْدِي التُّجَارِ
ذَاتُ تَمَائِيْلِ حَسَانِ مِنْ صَخَارٍ وَكَبَارِ

(١) ابن الرومي، الديوان، ج/٣، ص (٤٩-٥٠).

(٢) الساج: خشب يجلب من الهند. الينجوج: عود الطيب. قمار: موضع في الهند.

(٣) ابن الرومي، الديوان، ج/٣، ص (٥٠).

(٤) الشوار، اللباس والهيئة الحسنة، مادة (شار).

وتقدم التهاني بالبيوت الجديدة، بالدعاء لأصحابها بنيل السرور والسعادة في الإقامة بها، ومنها ما قدمه أبو القاسم عمر بن إبراهيم الزعفراني إلى صاحب هذه الدار الجديدة، داعياً له بالسرور في منزله الجديد، الذي أصبح وكأنه جنة في هذه الدنيا، متفرداً لا شبيه له، كما يشير الشاعر إلى متانة هذا البناء وعلو تكلفته، وذلك من خلال ذكر ما استخدم في بنائه من مواد كالجبص، والرصاص، والحديد، فيقول:

سـرّك الله بالبـناء الجـديـدِ نلت حال الشكر لا المستزيد
هذه الدارُ جنةُ الخلدِ في الدنـ يا فصلها وأختها بالخلود
ما تشككت أن رضوان قد خا ن و لم يك مثلهما في الصعيد
قد تولى الإقبالُ خدمته فيـ ها على رسمه كـ بعض العبيد
قال للجبص كُن رصاصاً ولأ جر لَمّا علاه كُن حديد^(١)

ويشير أشجع السلمي إلى جمال قصر بناء هارون الرشيد، وكأنّ الأيام قد نثرت جمالها عليه، مشيراً إلى ناحية مهمة في هذا القصر وذلك بأنه مكان لأعلام الهدى، فيقول:

قصرٌ عليه تحيةٌ وسلامُ نثرت عليه جمالها الأيامُ
فيه اجتلى الدنيا والتقى للملأك فيه سلامةٌ وسلامُ
قصرٌ سقوفُ المزنِ دون سُقوفه فيه لأعلام الهدى أعلامُ
نشرت عليه الأرضُ كسوتها التي نَسَجَ الربيعُ وزخرفَ الأوهام^(٢)

ومن الشعراء من يقدم رؤية جديدة، حيث يرى بأن التهاني يجب ألا تكون بهذه الدور الجديدة، وإنما بفضل أصحابها، وإن المنازل لا تقدم شيئاً حيث المهم ساكنها وما يتمتع به من صفات ومحاسن تزينه، فيقول أبو علي بن مسكويه مهناً ابن العميد بقصر جديد انتقل إليه:

لا يعجبك حسن القصر تنزله فضيلة التعس ليست في منازلها
لو زادت الشمسُ في أبراجها شرفاً ما زادَ ذلك شيئاً في فضائلها^(٣)

() الثعالبي، خاص الخاص، ص (٢١٩).

() أشجع السلمي، الديوان، ص (٢٥٢).

() الثعالبي، خاص الخاص، ص (٢٤٦-٢٤٧).

ويرى المتنبي كذلك أن التهاني تكون في بناء المعالي، لا بناء من المدر والطين، والفخر يكون بالأيام التي مضت، ولم يكن لك فيها دار سوى الحرب والمعركة، وبما أعمت سيفك في رؤوس الأعداء، فهذه الأمور التي يفخر بها، لا بالبيوت، فهذه رؤية جديدة للتهاني بالبيوت، جاءت على أثر طلب كافور الأخشيدي من المتنبي أن يذكر داراً بناها فيقول المتنبي:

إِثْمًا تَهْنِئَاتٌ لِّلْأَكْفَاءِ وَلَمَنْ يَدَّيْ مَنْ الْبُعْدَاءِ
 أَنْتِ أَعْلَى مَحَلَّةً أَنْ تُهَيَّئِي بِمَكَانٍ فِي الْأَرْضِ أَوْ فِي السَّمَاءِ
 إِثْمًا يَفْخَرُ الْكَرِيمُ أَبُو الْمِـ سَأُكَ بِمَا يَبْتَئِي مِنَ الْعِلْيَاءِ
 وَبِأَيَّامِهِ الَّتِي انْسَلَخَتْ عَنْـ هِ وَمَا دَارُهُ سِوَى الْهَيْجَاءِ
 وَبِمَا أَثَرَتْ صَوَارِمُهُ الْبِيـ ضُ فِي جَمَاجِمِ الْأَعْدَاءِ
 لَا بِمَا تُبْتَنَى الْحَوَاضِرُ فِي الرِيـ فِ وَمَا يَطْبِي قُلُوبَ النَّسَاءِ^(١)

ويبالغ الشعراء في وصف هذه الدور ومحاسنها، وفخامتها، كما ينظر من قول أبي بكر الخالدي في وصف دار بناها سيف الدولة، واصفاً جدرانها بمطولة النجوم العالية، وفسحة صحن البيت تتعدى مجال النظر، وحدائقها كأنها أقداح الغواني، فيقول^(٢):

غَدَتْ دَارُ الْأَمِيرِ كَمَا رَوِينَا فِي الْأَخْبَارِ عَنْ حُسْنِ الْجَنَانِ
 عَلَتْ جُودَانُهَا حَتَّى لَقَانَا سِيقِصْرَ عَنْ مَدَاهَا الْفَرْقَدَانَ^(٣)
 وَجَالِ الطَّرْفُ فِي مِيدَانِ صَحْنِ يُرْدُّ الطَّرْفَ دُونَ مَدَاهِ وَانِ
 تَرَى فِيهِ حِدَائِقَ نِظَارَاتِ تَشْبِهْنَ أَقْدَاحَ الْغَوَانِي

فالبيوت تدل على ثبات واستقرار، وفيها شيء من هنا العيش، وراحة البال، وذلك لشعور أصحابها بالأمان على أنفسهم وأهلهم من الأخطار التي قد يدرؤها البيت، سواء أكانت طبيعية أم بشرية، بالإضافة إلى أنه يدل على مكانته بما يملكه من حماية وثبات وعز ووجاهة، لهذا كان

() المتنبي الديوان، ج/٢، ص (٨٩٥-٨٩٦).

() أبو بكر الخالدي، ديوان الخالدين، تحقيق: سامي الدهان، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ط، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م، ص (٩٨).

() الفرقدان، نجران في السماء، مادة (فرقد).

البيت مهما لدى الناس، فقد قيل: ليكن أول ما تبتاع وآخر ما تبيع^(١)، وهكذا فقد كان العصر العباسي عصراً مزدهراً للبيان، بما أثرت فيه حياة الازدهار والترف، وكثرة الأموال، فقد كان الناس يتباهون ببيوتاتهم الجديدة، وفخامتها، وأصبحت مجالاً لتقديم التهاني لها، والتغالي في وصفها، ووصف مكانة أصحابها، ولم تقتصر التهنة على الشعر وحده، بل كان للنثر نصيب أيضاً في تقديم التهنة بهذه المناسبة، ومثلها ما كتب بعض الكتاب إلى رجل يهنئه بدار انتقل إليها بخير منتقل، وعلى أيمن طائر، ولأحسن إبان، أنزلك الله عاجلاً وأجلاً خيراً منازل المفليح^(٢).

التهنة بالنجاة من الحوادث:

من المناسبات التي قدمت بها التهاني النجاة من الحوادث التي تعرض لها الشخص، فبعد أن يكون قد كابد المصائب والأخطار التي تعرض لها، وخرج منها سالماً، وبخاصة إن كان من أصحاب السلطة والمكانة العليا، ليقل عليه الأهل والأصدقاء والشعراء مهنتين بسلامته، معرجين على ذكر محاسنه وفضائله، ومشيدين بأثره، وذلك لبيان أنه أهل لهذه التهنة.

ومن الحوادث التي خرج منها صاحبها معافى، ما تعرض له الفتح بن خاقان^(٣) من غرق، وفيها يهنئ البحري المتوكل بسلامة الفتح، وبما حباه الله من سعادة زكية، مبيناً أن يد الله عطف بالسلامة على الفتح، وإلى تصارييف الدهر التي تخطئ وتصيب، وأن من أسباب نجاته بأنه دعا باسم الخليفة المتوكل وهو في خضم الغرق، فكانت عوناً له، ليتعدى الشاعر بذلك ويقسم لو أنه يدعو الخليفة وهو محاط بالخيل لفرجها الله عليه، كما يبين الشاعر رحمة الله في وقع هذه المصيبة، فلولا لبكوا، وهاجت قلوبهم، لتكون فرحتهم على أثر حزن، خاتماً بالدعاء للخليفة بالبقاء، كما في بقائه سعادة لهم، فيقول^(٤):

هنيئاً أمير المؤمنين عطية من الله يزكو نيلها ويطيب^(٥)

() ابن قتيبة، عيون الأخبار، المجلد الأول، ص (٣١١).

() المصدر السابق نفسه، المجلد الثالث، ص (٦٩).

() الفتح بن خاقان بن أحمد بن غرطوج، يكنى أبا محمد، أديب وشاعر فصيح، كان فطناً ذكياً، أصله من فارس، استوزره المتوكل، ت (٢٤٧هـ)، الفهرست، ص (١٨٦).

() البحري، الديوان، ج/١، ص (٧٥).

() يزكو: ينمو ويزداد، مادة (زكا).

يَدُ اللَّهِ فِي فَتْحِ إِلَيْكَ جَمِيلَةً وَإِنْعَامُهُ فِيهِ عَلَيْكَ عَجِيبٌ
رَمْتُهُ صُرُوفُ النَّائِبَاتِ فَأَخْطَأْتُ كَذَا الدَّهْرُ يُخْطِئُ مَرَّةً وَيُصِيبُ
دَعَا بِاسْمِكَ الْمَنْصُورِ وَالْمَوْجُ غَامِرٌ لِدَعْوَتِهِ وَالْمَوْتُ مِنْهُ قَرِيبٌ
وَأَقْسَمُ لَوْ يَدْعُوكَ وَالْخَيْلُ حَوْلَهُ لَفَرَجَهَا عَنْهُ أَغْرُ نَجِيبٌ
فَلَوْلَا دَفَاعُ اللَّهِ دَامَتْ عَلَى الْبُكَاءِ عَيُونٌَ وَلَجَّتْ فِي الْغَرَامِ قُلُوبٌ^(١)
فِيَا فَرِحَةٌ جَاءَتْ عَلَى إِثْرِ تَرْحَةٍ وَبُشْرَى أَتَتْ بَعْدَ النَّعْيِ تَوُوبٌ
بَقِيَتْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّمَا بِقَاوُكَ حُسْنٌ لِلزَّمَانِ وَطِيبٌ

وفي موقع آخر، يهنئ البحترى إبراهيم بن المدبر بتخلّصه من أسر الزنج وهربه مع زوجته وأحد غلمانها، حيث يصور الشاعر رفض ممدوحه المساومة مقابل طلب النجاة، لترفعه عن الدنيا، وبيان ما تعرض له من طعنة أصابته بوجهه، وسط هذه المعركة التي تعثرت بها الخيل بغبارها المرتفع، ليقع أسيراً في يد الزنج، كما يصور الشاعر بطولة الممدوح في فراره من الأسر متسللاً ليلاً، ليبهرهم باستلاله سيفه الأرقم الذي غدا منسباً عليهم كالثعبان، لينقذ غلامه وزوجته التي غدت مضطربة الخطوات خوفاً، ويضفي الشاعر على ممدوحه عدة من الصفات البطولية والأخلاقية فهو صاحب قدرة وفضل وبأس وأخلاق وأدب، لتثير هذه الأبيات في مسامع إبراهيم بن المدبر إعجاب به بالبحترى معبراً عن ذلك بقوله: ومدح المأسور شيء ما راعاه قبله أحد^(٢)، ويقول البحترى في تهنئته^(٣):

لَوْ أَتَتْهُ اسْتِثَامَ النَّجَاةِ لِنَفْسِهِ وَجَدَ النَّجَاةَ رَخِيصَةَ الْأَسْبَابِ^(٤)
وَأَبِيَّتَ إِعْطَاءَ الدَّنْيَاءِ دُونَهُمْ إِنَّ الْأَبِيَّيَّ لِأَنَّ يُعَيَّرَ رَابِ^(٥)
وَمُيَبَّيَّةً شَهَرَ الْمُنَازِلُ وَسَمَّيَهَا وَالْخَيْلُ تَكْبُو فِي الْعِجَاجِ الْكَابِي^(٦)

() لـج: في الأمر، لازمه، وأبى أن ينصرف عنه، تـمادى.

() التـنوخى، الفـرج بعد الشـدة، تحقـيق: عبد الشـالجي، ج ٢، دار صـادر، بيـروت، لبـنان، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، ص (١٨).

() البحترى، الديوان، ج ١، ص (١٣١).

() استـثام، من السـوم، وهو السـؤال عن الثمن، مادة (سـام).

() الأبي، المـترفع، أب: كاره، مادة (أبي).

() الكـابي، المـترفع، مادة (كـبا).

كانت بوجهك دُونَ عَرْضِكَ إِذْ رَأَوْا
ولئن أُسِرْتَ فما الإِسَارُ عَلَى امْرِئٍ
نام المُضَلَّلُ عن سُرَاكَ ولم يَخَفْ
ما راعَهُمْ إِلا امْتِزَاقَكَ مُصَلِّتًا
تَحْمِي أَغْيَلِمَةَ وطائِشَةَ الخُطَى
قد كان يوم ندى بطولِكَ رَاهِنٌ
ذِكْرٌ من البأس استعرتَ إِلى الذي
أَنْ الوُجُوهَ تُصانُ بالأحْسابِ
نصر الإِسارِ عَلَى الفِرارِ بَعَابِ^(١)
سِنَّةَ الرَّقِيبِ ونَشْوَةَ البَوَّابِ
من مِثْلِ بُرْدِ الأرقمِ المُتَسابِ^(٢)
تَصِلُ التَّلَقُّوتَ خَشِيَةَ الطُّلابِ
حتى أَضفتَ إِليه يوم ضِرَابِ
أعطيتَ فِي الأَخلاقِ والأَدابِ

أشار الشعراء بالتهنئة بالنجاة من الحوادث، إلى تلك الأخطار التي تعرض لها ممدوحوهم، ومكابدتهم فيما لقوه من هول المعاناة، مظهرين رعاية الله لهم، وتلطفه، كما أنهم يشيدون ببطولاتهم وإصرارهم على نيل السلامة، متخذين من هذه المناسبة فرصةً للتعريج على محاسن ممدوحهم وصفاتهم.

() عاب: عائب، مادة (عاب).

() الامتراق، الاستلال، مادة (مراق).

الخاتمة:

مما تقدم في هذا البحث توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج يمكن الحديث عن أهميتها فيما يأتي:
أولاً: لم تكن التهاني من الأقسام التي كانت العرب تصوغ منها شعراً، ومما جاء من شكلها شئ
فهي معدودة من جملة المديح.

ثانياً: ساعدت المناسبات الدينية، كالعيدين، وموسم رمضان، والحج، على نمو شعر التهاني في
عصر صدر الإسلام .

ثالثاً: ازدهر شعر التهاني في العصر العباسي ازدهاراً كبيراً، بفضل عوامل سياسية، ودينية، واجتماعية.
رابعاً: حمل شعر التهاني دلالات عميقة نتيج قراءة المجتمع العباسي من وجهات مختلفة :
سياسية، ودينية واجتماعية .

خامساً: يمثل هذا النوع من الشعر (شعر التهاني) ملمحاً جديداً من ملامح التطور في العصر العباسي .
سادساً: عبر شعر التهاني عن مضامين جديدة في الأدب العربي، اختلطت بالظلال السياسية
والاجتماعية والدينية .

سابعاً: من الأحوال التي تكررت كثيراً في الشعر، اقتران التهاني بمدائح الخلفاء، والأمراء،
والقادة، والأصدقاء.

ثامناً: تبدو الألفاظ والمعاني التي قيلت في شعر التهاني، تحمل معاني ودلالات، توشك أن تكون
واحدة في إبرازها لمعالم الفرح والسرور .

تاسعاً: اقتران كثير من التهاني بالهدايا، لما لها من أثر في إحداث المودة وإثراء روح المحبة بين الناس.
عاشراً: إن الأشعار التي قيلت في التهاني، تميل إلى الرقة، والليونة، والسهولة، واليسر في
التعبير، كما أنها حفلت بالتصوير، والابتكار في المعاني والصور .

الحادي عشر: يعبر كثير من شعر التهاني عن عواطف الإنسان ودقائقه الشعورية ومشاعره
الإنسانية تجاه الآخرين .

الثاني عشر: نضجت ظاهرة الجمع بين التعزية والتهنئة في العصر العباسي، لتصور مناقب من
مات، ومحاسن من أتى .

الثالث عشر: بروز ظاهرة ما تسمى بـ(شواذ التهاني)، وهو لون من ألوان التهاني -لا يكاد ينبي- ولو
على نحو -بمعنى الفرح والسرور في نفس صاحب المناسبة، ومع ذلك يسعى بعض أصدقائه في
محاولة إقناعه أن ما طاله إنما يدعو في حقيقة الأمر إلى التهنئة، كأن يهنئه بالعزل عن العمل.

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

١. القرآن الكريم

٢. الأبيشي، شهاب الدين محمد أحمد، (ت ٨٥٠ هـ ١٤٤٦ م)، المستطرف في كل فن مستظرف، شرح: مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.

٣. إبراهيم الصولي، إبراهيم بن العباس الصولي، (ت ٢٤٧ هـ ٨٦١ م)، الديوان، تحقيق: أحمد جمال العمري، الطبعة الأولى، دار المعارف، القاهرة، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.

٤. ابن الاثير، أبو الحسن، عز الدين علي بن أبي المكارم، (ت ٦٣٠ هـ ١٢٣٢ م)، الكامل في التاريخ، دار صادر، بيروت، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.

٥. أشجع السلمي، أشجع بن عمرو السلمي، (ت ٢٠٢ هـ ٨١٧ م)، الديوان، خليل بنيان الحسون، الطبعة الأولى، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ ١٩٨٠ م.

٦. البحتري، أبو عبادة، الوليد بن عبيد بن يحيى، (ت ٢٨٤ هـ ٨٩٧ م)، الديوان، محمد التونجي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

٧. البخاري، أبو عبدالله، محمد بن إسماعيل البخاري، (ت ٢٥٦ هـ ٨٦٩ م)، رقم كتبه وأبوابه: محمد نزار، وهيثم نزار، د.ط، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.

٨. أبو تمام، حبيب بن أوس الطائي، (ت ٢٣١ هـ ٨٤٥ م)، الديوان، محي الدين صبحي، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ ١٩٩٧ م.

٩. التتوخي، أبو علي، المحسن بن علي، (ت ٣٨٤ هـ ٩٩٤ م)، الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.

١٠. الثعالبي، أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل، (ت ٤٢٩ هـ ١٠٣٧ م)، خاص الخاص، شرح وتعليق: مأمون بن محي الدين الجنان، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٤ هـ ١٩٩٤ م.

١١. الثعالبي، لباب الآداب، تحقيق: أحمد حسن بسج، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.
١٢. الثعالبي، يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، تحقيق: مفيد محمد قميحة، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
١٣. الثعالبي، الديوان، تحقيق: محمود عبدالله الجادر، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.
١٤. الثعالبي، اللطائف والظرائف، الطبعة الأولى، دار المناهل، بيروت، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
١٥. الجاحظ، أبو عثمان، عمرو بن بحر، (ت ٢٥٥ هـ ٨٦٨ م)، المحاسن والأضداد، نشره: عاصم عتياني، الطبعة الأولى، دار إحياء العلوم، بيروت، لبنان، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.
١٦. جحظة البرمكي، أبو الحسن، أحمد بن جعفر بن برمك، (ت ٣٢٤ هـ ٩٣٥ م)، الديوان، تحقيق: جان عبدالله توما، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.
١٧. الحصري، أبو إسحاق، إبراهيم بن علي القيرواني، (ت ٤٥٣ هـ ١٠٦١ م)، زهر الآداب وثمار الألباب، زكي مبارك، الطبعة الرابعة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.
١٨. الحسين بن الضحاك، أبو علي البصري، (ت ٢٠٥ هـ ٨٢٠ م)، الديوان، تحقيق: جليل العطية، الطبعة الأولى، منشورات الجمل، بغداد، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.
١٩. الحلاج، أبو المغيث، الحسين البياضوي، (ت ٣٠٩ هـ ٩٢٢ م)، الديوان، أبو طريف الشيبلي، الطبعة الثانية، بغداد، ١٤٠٤ هـ ١٩٨٤ م.
٢٠. ابن حمدون، محمد بن الحسن بن محمد، (ت ٥٦٢ هـ ١١٦٧ م)، التذكرة الحمدونية، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.
٢١. الحموي، ياقوت بن عبدالله، (ت ٦٢٦ هـ ١٢٢٨ م)، معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.
٢٢. الحموي، ياقوت، معجم الأدياء، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار القرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٤١٣ هـ ١٩٩٣ م.
٢٣. الخالديان، أبوبكر محمد الخالدي، (ت ٣٨٠ هـ ٩٩٠ م)، ديوان الخالدين، تحقيق: سامي الدهان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.

٢٤. ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون، (ت ٨٠٨ هـ ٤٠٦ م)، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر، د.ت.
٢٥. ابن خلكان، أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت ٦٨١ هـ ١٢٨٢ م)، وفيات الأعيان، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م.
٢٦. دعلج الخزاعي، دعلج بن علي بن رزين، (ت ٢٤٦ هـ ٨٦٠ م)، الديوان، تحقيق: عبد الصاحب عمران الدجيلي، الطبعة الأولى، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م.
٢٧. الراغب الأصفهاني، أبو القاسم، الحسين بن محمد، (ت ٥٠٢ هـ ١١٠٨ م)، محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء، تحقيق: رياض عبد الحميد مراد، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.
٢٨. ابن رشيق القيرواني، أبو علي، الحسن بن رشيق القيرواني، (ت ٤٥٦ هـ ١٠٦٤ م)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.
٢٩. ابن الرقاع، عدي بن القاع العاملي، (ت ١٠٢ هـ ٧٢٠ م)، الديوان، تحقيق: الشريف عبدالله الحسيني البركاني، مكتبة الفيصلية، مكة المكرمة، د.ط، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٥ م.
٣٠. ابن الرومي، أبو الحسن، علي بن العباس، (ت ٢٨٣ هـ ٨٩٦ م)، الديوان، تحقيق: عبد الأمير علي مهنا، الطبعة الأولى، دار مكتبة الهلال بيروت، لبنان، د.ت.
٣١. الزمخشري، أبو القاسم، محمود بن عمر، (ت ٥٣٨ هـ ١١٤٣ م)، ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، تحقيق: سليم النعيمي، الطبعة الأولى، دار الذخائر، قم، إيران، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.
٣٢. الزوزني، أبو، محمد، عبدالله بن محمد، حماسة الظرفاء من أشعار المحذثين والقدمات، تحقيق: محمد بهي الدين، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.
٣٣. ابن الزيات، محمد بن عبد الملك الزيات، (ت ٢٣٣ هـ ٨٤٧ م)، الديوان، تحقيق: يحيى الجبوري، الطبعة الأولى، دار البشير، عمان، ١٤٢٣ هـ ٢٠٠٢ م.
٣٤. السري الرفاء، أبو الحسن، السري بن أحمد الكندي، (ت ٣٦٢ هـ ٩٧٢ م)، الديوان، تحقيق: كرم البستاني، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٦ هـ ١٩٩٦ م.

٣٥. سلم الخاسر، سلم بن عمرو، (ت ١٨٦ هـ ٨٠٢ م)، الديوان، تحقيق: نايف محمود معروف، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.
٣٦. الشابشتي، أبوحسن، علي بن محمد، الديارات، كوركيس عواد، الطبعة الثانية، مكتبة المثنى، بغداد، ١٣٦٦ هـ ١٩٦٦ م.
٣٧. - الشريف الرضي، (ت ٤٠٦ هـ ١٠١٥ م)، الديوان، محمود مصطفى حلاوي، الطبعة الأولى، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ ١٩٩٩ م.
٣٨. الشريف المرتضى، (ت ٤٣٦ هـ ١٠٤٤ م)، الديوان، تحقيق: رشيد الصفار، الطبعة الثانية، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
٣٩. الصابئ، أبو الحسن بن هلال، تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٦٢ هـ ١٩٥٨ م.
٤٠. الصاحب بن عباد، (ت ٣٨٥ هـ ٩٨٥ م)، الديوان، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، الطبعة الثانية، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤ م.
٤١. الصنوبري، أبو بكر، أحمد بن محمد بن الحسن، (ت ٣٣٤ هـ ٩٤٥ م)، الديوان، تحقيق: إحسان عباس، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٨ هـ ١٩٩٧ م.
٤٢. الصولي، أبو بكر، محمد بن يحيى، (ت ٣٣٦ هـ ٩٤٧ م)، أخبار الشعراء، المسمى كتاب الأوراق، جمعه: ج هيوارث، دن، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
٤٣. الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ج، هيوارث، دن، الطبعة الثانية، دار المسيرة، بيروت، لبنان، ١٣٩٩ هـ ١٩٧٩ م.
٤٤. الطبري، أبو جعفر، محمد بن جرير، (ت ٣١٠ هـ ٩٢٢ م)، تاريخ الطبري، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١١ هـ ١٩٩١ م.
٤٥. طريح الثقفي، أبو الصلت، طريح بن إسماعيل الثقفي، (ت ١٦٥ هـ ٧٨١ م)، الديوان، تحقيق: بدر أحمد ضيف، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٧ م.
٤٦. العباسي، عبد الرحيم بن علي، (ت ٩٦٣ هـ ١٥٥٥ م)، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، لبنان، د.ت.

٤٧. ابن عبد ربه، أحمد بن محمد الأندلسي، (ت ٣٢٨ هـ ٩٣٩ م)، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف، القاهرة، ١٣٦٨ هـ ١٩٤٩ م.
٤٨. أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم، (ت ٢١١ هـ ٨٢٦ م)، الديوان، مجيد طراد، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.
٤٩. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل، (ت ٣٩٥ هـ ١٠٠٤ م)، ديوان المعاني، الطبعة الأولى، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م.
٥٠. العسكري، الديوان، تحقيق: جورج قناز ع، المطبعة التعاونية، دمشق، د.ط. ١٤٠٠ هـ ١٩٧٩ م.
٥١. علي بن جبلة العكوك، (ت ٢١٣ هـ ٨٢٨ م)، الديوان، تحقيق: زكي ذكر العاني، مطبعة دار الساعة، بغداد، ١٣٩١ هـ ١٩٧١ م.
٥٢. علي بن الجهم، أبو الحسن، علي بن الجهم بن بدر القرشي، (ت ٢٤٩ هـ ٨٦٣ م)، الديوان، تحقيق: خليل مردم بك، الطبعة الثانية، دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ١٤٠٠ هـ ١٩٨٠ م.
٥٣. أبو الفتح البستاني، علي بن الحسين البستي، (ت ٤٠٠ هـ ١٠٠٩ م)، الديوان، تحقيق: دراية الخطيب، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، ١٤١٠ هـ ١٩٨٩ م.
٥٤. أبو فراس الحمداني، أبو فراس الحارث بن حمدون، (ت ٣٥٧ هـ ٩٦٨ م)، الديوان، سامي الدهان، بيروت، لبنان، ١٣٦٣ هـ ١٩٦٣ م.
٥٥. أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثانية، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م.
٥٦. ابن قتيبة، أبو محمد، عبدالله بن مسلم الدينوري، (ت ٢٧٦ هـ ٨٨٩ م)، عيون الأخبار، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
٥٧. ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: محمود قميحة، الطبعة الثانية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.
٥٨. الفلقشندي، أبو العباس، أحمد بن علي، (ت ٨٢١ هـ ٤١٨ م)، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، يوسف علي طويل، الطبعة الأولى، دار الفكر، بيروت، لبنان، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.
٥٩. كشاجم، أبو الفتح، محمود بن الحسين، (ت ٣٦٠ هـ ٩٧٠ م)، الديوان، تحقيق: عبد الواحد شعلان، الطبعة الأولى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٧ هـ ١٩٩٧ م.

٦٠. المبرد، أبو العباسي، محمد بن يزيد، (ت ٢٨٥ هـ ٨٩٨ م)، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: محمد أحمد الدالي، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.
٦١. المتنبّي، أبو الطيب، أحمد بن الحسين بن مرة، (ت ٣٥٤ هـ ٩٦٥ م)، الديوان، تحقيق: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، لبنان، د.ت.
٦٢. مروان بن أبي حفصة، مروان بن أبي الجنوب، (ت ١٨١ هـ ٧٩٧ م)، الديوان، أشرف أحمد عدر، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م.
٦٣. المسعودي، أبو الحسن، علي بن الحسين، (ت ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م)، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم الشماخي الرفاعي، الطبعة الأولى، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٤٠٨ هـ ١٩٨٩ م.
٦٤. مسلم، أبو الحسين، مسلم بن الحجاج النيسابوري، (ت ٢٦١ هـ ٨٧٤ م)، صحيح مسلم، تحقيق نصوصه: محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
٦٥. ابن المعتز، أبو العباس، عبدالله بن العباس بن المتوكل، (ت ٢٩٦ هـ ٩٠٨ م)، الديوان، تحقيق: يوسف شكري فرحات، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م.
٦٦. ابن المعتز، طبقات الشعر والشعراء، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، الطبعة الثانية، دار المعارف المصرية، القاهرة، ١٣٦٨ هـ ١٩٦٨ م.
٦٧. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، (ت ٧١١ هـ ١٣١١ م)، لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م.
٦٨. مهيار الديلمي، (ت ٤٢٨ هـ ١٠٣٧ م)، الديوان، روائع التراث العربي، الطبعة الأولى، دار الكتب المصرية، د.ت.
٦٩. النمري، منصور بن الزبرقان، (ت ١٩٠ هـ ٨٠٦ م)، الديوان، تحقيق: الطيب العشاش، دار المعارف، دمشق، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م.
٧٠. أبو نواس، الحسن بن هاني، (ت ١٩٨ هـ ٨١٣ م)، الديوان، تحقيق: أحمد عبد المجيد الغزالي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، د.ت.
٧١. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت ٧٣٣ هـ ٣٣٢ م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: يحيى الشامي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٤ م.
٧٢. الوشاء، أبو الطيب، محمد بن إسحاق، (ت ٣٢٠ هـ ٩٣٦ م)، الظرف والظرفاء، دار صادر، د.ط، د.ت.

ثانياً: المراجع

١. الأطرقي، واجدة مجيد، المرأة في أدب العصر العباسي، دار الرشيد، منشورات وزارة الإعلام، بغداد، ١٤٠٢هـ/١٩٨١م.
٢. أبو الأنوار، محمد، نهضة الشعر العباسي وتطوره، مكتبة الشباب، د.ط، د.ت.
٣. أنيس، إبراهيم، المعجم الوسيط، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.
٤. أيوب، إبراهيم، التاريخ العباسي، الطبعة الأولى، دار الكتاب العالمي، بيروت، لبنان، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
٥. حسن، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام ، الطبعة الثالثة عشرة، دار الجيل، ، بيروت، لبنان، ١٤١١هـ/١٩٩١م .
٦. خفاجي، محمد عبد المنعم، رسائل ابن المعتز، الطبعة الأولى، مكتبة مصطفى البابي، القاهرة، ١٣٦٥هـ/١٩٤٦م.
٧. الدروبي، محمد محمود، الرسائل الفنية في العصر العباسي، الطبعة الأولى، دار الفكر، عمان، الأردن، ١٤٢٠هـ/١٩٩٠م.
٨. درويش، حسن، الشعراء المحدثون في العصر العباسي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د.ط، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م .
٩. السامرائي، حسام الدين، المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، الطبعة الثانية، دار الفكر العربي، ١٤٠٣هـ/١٩٨٠م.
١٠. السامرائي، يونس أحمد ، شعراء عباسيون ، الطبعة الأولى ، مكتبة النهضة العربية، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م .
١١. سلام، محمد زغلول، الأدب في العصر العباسي منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث، دار المعارف، د.ط، د.ت .
١٢. صفوت، أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.
١٣. الصياد، فؤاد عبد المعطي، النوروز وأثره في الأدب العربي، جامعة بيروت العربية، ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م .
١٤. ضيف، شوقي، العصر العباسي الثاني، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

- ١٥ . عابدين، سامي، قصر المأمون وأثره على العصر، الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٤٢٢/٥١/٢٠٠١م.
- ١٦ . عبد الفتاح، سيد صادق، أغرب الأعياد وأعجب الاحتفالات، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤١٤/٥١/١٩٩٤م .
- ١٧ . العش، يوسف، الخلافة العباسية، الطبعة الأولى، دار الفكر المعاصر، ، بيروت، لبنان، ١٤١٨/٥١/١٩٩٧م .
- ١٨ . الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي، دار الجيل، بيروت، لبنان، ١٤٠٦/٥١/١٩٨٦م.
- ١٩ . الكردي، إبراهيم سليمان، نظام الوزارة في العصر العباسي الأول، مركز الإسكندرية للكتاب، د.ط، د.ت.
- ٢٠ . المحاسني، زكي، شعر الحرب في أدب العرب، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر، د.ت.
- ٢١ . الهاشمي، أحمد، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب، الطبعة الثالثة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت.

The study abstract

‘

‘ ‘

‘

‘

‘

‘

‘

‘

‘

‘

‘

‘